

كَنْزُ الْفِرْقَانِ

مجلة علمية دينية ثقافية في علوم القرآن الكريم

يصدرها

الاتحاد العام لجماعات العلماء

المسجل بوزارة الشؤون برقم ٨٣٣

التاسع العددان والعاشر	رمضان، شوال سنة ١٣٦٨ يولية، أغسطس سنة ١٩٤٩	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الأولى
---------------------------	---	---------------------------------	--------------

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحديث الديني

« الذي ألقاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر في قصر رأس
التين العامر مساء ١٨ رمضان سنة ١٣٦٨ »

قال الله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله
وعدوكم ، وآخرين من دونهم لآملونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل
الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله
إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك
بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين
قلوبهم ، ولكن الله ألفت بينهم إنه عزيز حكيم . »

ما تشتمل عليه الآيات من الأحكام

« ١ » ناقضو العهد وما يجب نحوهم . « ٢ » نبذ العهد عند توقع الخيانة .
« ٣ » وجوب إعداد الأمة كل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائها . « ٤ » فرق
الفرسان وأثرها في الحرب . « ٥ » الحرب الارهابية وأثرها في حماية المسلمين .
« ٦ » الانفاق في سبيل الله ، أثره في تكوين الأمة ، الجزاء عليه . « ٧ » الاسلام
دين السلام ، طلب السلم خداعاً ، ائتلاف القلوب وأثره في قوة الأمة ، تفرق
الكلمة وأثره .

معنى المفردات

« تفقنهم » : أى تغلبهم وتظفر بهم . « فشردهم » : أى نكل بهم .
« يذكرون » : أى يحدرون أن ينقضوا العهد . « وأعدوا » : الاعداد اتخاذ الشيء
لوقت الحاجة . « رباط الخيل » : يعنى حبسها واقتناؤها ، أو هو اسم للخيل التى تربط
فى سبيل الله ، فهو فعال بمعنى مفعول . « وإن جنحوا » الجنوح الميل ، ومنه قيل
للأضلاع جوانح لأنها مالت على الحشوة . والسلم والسلام : هو الصلح ، والسلم مؤنث
كقابلة « الحرب » . وقرأ الأعمش ، وأبو بكر ، وابن محيصن ، والمفضل « للسلم »
بكسر السين ، والباقون بالفتح . « يخذعوك » : أى يظهرون السلم ويبطنون الغدر
والخيانة . « حسبك الله » : حسب تستعمل بمعنى الكفاية التامة ، أى كافيك
أمرهم من كل وجه .

التفسير

فى الآيات السابقة على هذه الآيات ذكر فريقان ممن كانت بينهم وبين النبى
صلى الله عليه وسلم عهود ومواثيق ، فمن نكثوا العهد وتكررت خيانتهم ، أوجب

الله ضربهم والتنكيل بهم ، نكالا يفرق غيرهم من خلفهم ، حتى لا يجرؤ معاهد على الخيانة وتقض العهد ، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشردهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

وفريق صاروا غير مأمونين وخيانتهم متوقعة ، وهؤلاء أمر الله بقطع طريق الخيانة عليهم باعلامهم بفسخ العهد حتى يكونوا على علم بأنهم أصبحوا في حالة حرب مع المسلمين ، ولكن لا تجوز مفاجأتهم بالحرب قبل إعلامهم بفسخ العهد . وقد ذكرهم الله في قوله : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » .

بعد هذا بين الله للمسلمين ما يجب أن يكونوا عليه من القوة والمنعة ، حتى لا يجرؤ أمثال هؤلاء على الخيانة والاستهتار بهودهم ، ولا يجرؤ غيرهم على انتهاك حرمت المسلمين ، فقال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » . وهو أمر من الله تعالى للمسلمين بأن يستعدوا لأعدائهم من هؤلاء وغيرهم بكل ما يستطيعون من قوة . وهو أمر عام لا يختص بزمان ولا بفريق من الناس ، لأن الآية محكمة ، والأمر فيها أبدي دائم .

ولفظ القوة عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو ، وكل ما هو آلة للحرب والجهاد : من الحصون والقلاع ، وأسلحة البر والبحر والهواء ، على اختلاف أنواعها وأشكالها ، بحسب الأزمنة والامكنة المختلفة ، ومصانع الذخيرة والأسلحة المختلفة ، وكل ما يفيد في صلاحية الأمة للحرب ، كانشاء معاهد لتعليم فنون الحرب ، والاشراف على الصحة العامة ، وتقوية الأجسام ، وغير ذلك مما يجعل الأمة مخوفة مرهوبة الجانب ، وكل ذلك بحسب استطاعة الأمة ، والقدرة على القيام به .

والرباط في الآية اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، وخص بالذكر الاستعداد بالخيل مع أن قوله تعالى: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » يشمله، لتوجيه النظر إلى أهمية الخيل في الجهاد، وأن لها شأنًا عظيمًا في المرابطة بها في الثغور وحدود البلاد، لسرعة حركة الفرسان، وقدرتهم على الكر والفر إذا دم الوطن عدو على غرة .

ولا يزال لفرق الفرسان شأن عظيم في الحروب، رغم المخترعات الحديثة من المدرعات وغيرها .

وقوله تعالى: « ترهبون به عدو الله وعدوكم »: إعلام من الله تعالى للمؤمنين بأن الاستعداد للحرب بكل ما تستطيعه الأمة من قوة هو لارهاب أعداء الله الذين يعملون على تعطيل الدعوة إلى دينه، وإرهاب أعداء المؤمنين الذين يكيّدون لهم ويترصدون بهم الدوائر، لأن هؤلاء الأعداء إذا علموا أن المسلمين نشيطون في دعوتهم إلى دين الله، وأنهم في ديارهم متأهبون للحرب، ومستكملون آلاتها وعدتها، خافوهم ورهبوهم، فلا يقدمون على مناجزتهم أو قتالهم، فالقصد الأصلي من التأهب للحرب هو حماية الدعوة إلى دين الله، ودفع العدوان عن المسلمين . أما التعدي على الأمنين المسلمين فليس من مقاصد الاسلام ولا مما يميزه الاسلام، يرشد إلى هذا قوله تعالى: « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » أي لا تبدءوا بالعدوان ولا تعتدوا في القتال بقتل غير المحاربيين من العجزة والشيوخ والنساء والصبيان ومن إليهم ممن لا يحملون السلاح ولا يمدون الأعداء بالرأي في الحرب .

اختلف المفسرون في المراد بالآخرين في قوله تعالى: « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » على أقوال، ورجح الرازي، وابن كثير ما قاله مقاتل وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنهم المناقون، وقد كانوا موجودين بين المسلمين

كما جاء في قوله تعالى : « ومن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » والمعنى حينئذ : استعدوا أيها المسلمون بكل ما تستطيعون من قوة ليرهبكم أعداؤكم المعروفون لكم ، وأعداؤكم الذين لا تعرفون أنهم أعداء وهم المنافقون .

وذلك لأن المنافقين في ظاهر حالهم من المسلمين ، وفي الباطن بخلاف ذلك ، ومن عادتهم تلمس الفتنة ليحتالوا على إشاعتها وإلقاء الأفساد فيما بين المسلمين ، فإذا شاهدوا قوة المسلمين وما لهم من كثرة آلات الحرب ، وما أعدوه من العيون والرصد لتعرف حال الأعداء ، خافوا وأقلعوا عن هذه الأفعال الذميمة ، حتى لا ينكشف أمرهم ، وقد صاروا لامطعم لهم في أن يغلب المسلمون مع وجود هذه القوة . والمنافقون وإن كانوا في الحقيقة أعداء للمسلمين ، بل هم شر على الأمة من أعدائها الظاهرين ، ولكن تفسير الآية بهم وحدهم لا يظهر مع عموم قوله : « وآخرين من دونهم » لأن الآخرين من غير هؤلاء الأعداء المعروفين يشمل الأعداء المستخفين ، ومن لم يعرف من أمرهم شيء وقت نزول الآية ، ولهذا فالراجح حمل الآية على العموم . فقد عرف أنه بعد أن ظهرت قوة المسلمين بعد واقعة تبوك أقبلت وفود القبائل من قلب الجزيرة وأطرافها يعلنون إسلامهم إعظاماً لهذا الدين الذي تدين به وتحميه أكبر قوة في جزيرة العرب ، ومن غير هؤلاء من قبل الدخول تحت سلطان المسلمين مع خراج يؤديه ، وبعض من هؤلاء وهؤلاء لم يكونوا معروفين بأنهم أعداء أو غير أعداء .

ولما كان الأعداد للحرب يحتاج إلى البذل والافتاق قال الله تعالى : « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » وهو حض من الله للمؤمنين على الافتاق في سبيل الله ، ووعد منه تعالى بأن ما ينفقونه في هذا السبيل قل أو كثير يجزون عليه في الدنيا والآخرة جزاء وافياً .

أما جزاؤهم في الدنيا فهو ما يصيبهم من خيراتها مع حفظ أمتهم من العدوان الذي قد يمتد أثره إذا كانت الأمة ضعيفة إلى التهلكة ، ويشير إلى هذا قول الله تعالى : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلتقوا بأيديكم إلى التهلكة » والمعنى كما روي عن ابن عباس رضى الله عنه « لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم بترك الانفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو » .

وأما جزاؤهم في الآخرة فقد بينه الله في قوله « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

وقال (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه الذي يحتسب في صنعته الخير ، والذي يجهز به في سبيل الله ، والذي يرمى به في سبيل الله » .

وقول الله تعالى « وما تنفقوا من شيء في سبيل الله » عام في الانفاق في وجوه الخير التي تفيد الأمة قلت النفقة أو كثرت . فالانفاق لدفع المرض والمقر والجهد عن الأمة إنفاق في سبيل الله لأنه يمكن الأمة من إعداد جيش قوى يقدر على الدفاع والذود عن حماها . والانفاق لانشاء مصانع للخبرة وآلات الحرب إنفاق في سبيل الله ، وكل نفقة تفيد الأمة في حيويتها وقوتها هي نفقة في سبيل الله .

ولما بين الله تعالى ما يجب أن يكون عليه المسلمون من القوة التي ترهب أعداءهم ، خاطب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » واختصه الله بالخطاب في هذه الآية لأنه هو القائد الأعلى للمؤمنين ، والمرجع الأعظم في أمورهم في حالة الحرب والسلام .

والمعنى : إذا كنت في قتال مع أعدائك أو في حالة حرب دون قتال ، ومالوا

(١) رواه البيهقي عن عقبه بن عامر « ترغيب ج ٢ ص ١٧٠ » .

إلى الصلح والمصالحة فأجيبهم إلى ذلك واقبل منهم ، فالإسلام دين السلام . وتوكل على الله بتفويض أمرك إليه والركون إلى أنه عون لك على السلامة .
« إنه هو السميع العليم » المطلع على ظاهريهم وباطنيهم ولا يخفى عليه من أمرهم ما يخفى عليك .

والتوكل على الله لا يمنع من الاستعداد وطلب الأمور من أسبابها ، لأن الله تعالى نظم هذا الوجود ورتب فيه الأسباب والمسببات ، والمؤمن المتوكل على الله هو الذي يطلب الأمور من طريق أسبابها الظاهرة ، ويستمد من الله العون والسداد في الوصول إلى الناية ، وقد كان ذلك هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر . وإذا لم يعرف المؤمن الأسباب أو لم يهتد إلى معرفتها فإنه فيما يقصد إليه يفوض أمره إلى الله ، ويطلب منه السلامة ، وأن يهيئه له من الأسباب ما يجنبه طريق الزلل .

وإذا طلب الأعداء السلم ولكن ظهر من حالهم أنهم مخادعون وأنهم إنما يقصدون من السلم الاستعداد وجمع القوى حتى تحين الفرصة فينتهزوها ، فلا يجابون إلى ما طلبوا ، لأنه إذا كان ظهور خيانة المعاهدين يدعو إلى نبذ عهدهم ومحاربتهم كما في الآية السابقة ، فإنه يكون أولى ألا يقبل من الأعداء عهد ينطوى على الغش والخداع .

أما إذا طلبوا السلم ولم يظهر للمسلمين أنهم مخادعون فهذا هو الذي عناه الله بقوله « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » وهو تصريح بما أشير إليه في قوله « وتوكل على الله » يعنى أنه تعالى كافيك خداعهم إياك ، لأنه متكفل بإظهار دينه على الأديان ، وأن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى « هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم » وهى نعمة عظمى لك من الله تعالى جمع لك فيها بين النصر الربانى وتسخير المؤمنين لك حيث ألف بين قلوبهم ، وجمعها على الإيثار

بك ، وجعلهم أمة واحدة متآلفة متعاونة على طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك ، بعد أن كانوا أعداء ، وبينهم إحن وأحقاد متوارثة ، وحروب كادت تأتي عليهم « لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم » « ولكن الله » الذي بيده ملكوت كل شيء ، « ألف بينهم » بهدايتهم إلى نور الايمان ، وبِعزته وحكمته جعلهم أمة واحدة قوة لهذا الدين ، إنه عزيز حكيم .

وفي هذه الآية إرشاد من الله تعالى إلى أن ائتلاف قلوب المؤمنين واتفاق كلمتهم على خير الجماعة الاسلامية ركن أساسى فى بناء الجماعة الاسلامية وقوتها وعزتها . أما التنازع واختلاف الكلمة وتفرق القلوب فهو مدعاة للفشل والخيبة ، وقد أئذر الله تعالى به المؤمنين فى قوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم » أى تذهب قوتكم فيظهر عدوكم عليكم .

اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم .

الشكر

قال عبد الله بن عباس : لو أن فرعون مصر أسدى إلي يداً صالحة لشكرته عليها وقال حكماء المسلمين : إذا قصرت يداك عن المكافأة فيطل لسانك بالشكر .
وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها تنشد أبيات زهير ابن حباب :

ارفع ضعيفك لا يجر بك ضعفه يوما فتدركه عواقب ما جرى
يجزيك أو يثنى عليك فان من أثنى عليك بما فعلت فقد جرى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس .
وأنشد الرياشى :

إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ولم أذم البنخس اللثيم المذمما
فقيم عرفت الخير والشكر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

الأحرف السبعة

- ٢ -

المبحث الثالث في بيان المراد بهذه الأحرف السبعة

قال الشمس ابن الجزرى: وقد اختلفت أقوال العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة على نحو من أربعين قولاً، مع إجماعهم على أنه ليس المراد بها قراءات سبعة من القراء كالسبعة المشهورين وإن كان يظن ذلك بعض العوام، لأن السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا، وأول من جمع قراءاتهم: أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة، فلو كان الحديث منصرفاً إلى قراءة السبعة المشهورين أو سبعة من القراء الذين ولدوا بعد التابعين لأدى ذلك إلى أن يكون الخبر عارياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة الأئمة فتوجد عنهم القراءة، ولأدى أيضاً إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به. وهذا باطل، إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة، لفظاً عن لفظ، إماماً عن إمام، إلى أن تتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم. ومع إجماعهم أيضاً على أنه ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه، إذ لا يوجد ذلك في كلمة من المشهور.

وأصح الأقوال وأولها بالصواب، وهو الذى عليه أكثر العلماء، وصححه البيهقى، واختاره الأبهري وغيره، واختاره في القاموس - أن المراد بالأحرف أوجه

من اللغات . وذلك لأن الحرف يطلق لفة على الوجه ، ومنه قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » .

قال الحافظ أبو عمرو الداني : معنى الأحرف التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم ههنا يتوجه إلى وجهين :

أحدهما : أن يعنى أن القرآن أنزل على سبعة أوجه من اللغات ، لأن الأحرف جمع حرف في التليل كفلس وأفلس ، والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » الآية ، فالمراد بالحرف هنا الوجه ، أى على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية ، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمان وعبد الله ، وإذا تغيرت عليه وامتنحنه الله بالشدة والضر ترك العبادة وكفر ، فهذا عبد الله على وجه واحد ، فهذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً ، على معنى أن كل شيء منها وجه .

والوجه الثاني : أن يكون سمي القراءات أحرفاً على طريق السعة كمادة العرب في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه ، وما قار به وجاوره وكان كسبب منه ، وتعلق به ضرباً من التعلق ، كتسميتهم الجملة باسم البعض منها ، فلذلك سمي النبي صلى الله عليه وسلم القراءة حرفاً وإن كانت كلاماً كثيراً ، من أجل أن منها حرفاً قد غير نظمه أو كسر أو قلب إلى غيره أو أميل أو زيد أو نقص منه على ما جاء في المختلف فيه من القرآن ، فسمى القراءة إذا كان ذلك الحرف منها حرفاً على عادة العرب في ذلك ، واعتماداً على استعمالها . انتهى

قال الشمس ابن الجزرى : وكلا الوجهين محتمل ، إلا أن الأول محتمل احتمالاً قوياً في قوله صلى الله عليه وسلم «سبعة أحرف» أى سبعة أوجه وأنحاء . والثاني محتمل احتمالاً قوياً في قول عمر رضى الله عنه « سمعت هشاماً يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أى على قراءات

كثيرة . وكذا قوله في الرواية الأخرى « سمعته يقرأ أحرفاً لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها » . اهـ .

ومما يؤيد أن المراد أوجه من اللغات أن حكمة إتيان القرآن على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على هذه الأمة في التكلم بكتابهم كما خفف عليهم في شريعتهم ، وهو كالمصرحة في الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم « أسأل الله معافاته ومعونته » وكقوله : « إن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف واحد فرددت عليه أن هون على أمي ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف » . وكقوله لجبريل : « إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة والعلامة والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط » . وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للخلق كافة وألسنتهم مختلفة غاية الاختلاف ، كما هو مشاهد فينا ، ومن كان قبلنا مثلنا ، وكلهم مخاطب بقراءة القرآن ، قال تعالى : « فاقراءوا ما تيسر من القرآن » فلو كلفوا كلهم النطق بلغة واحدة لشق ذلك عليهم وتعرس ، إذ لا قدرة لهم على ترك ما اعتادوه وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد وجهد جهيد ، وربما لا يستطيعه بعضهم ولو مع الرياضة الطويلة وتذليل اللسان كالشيخ والمرأة ، فافتضى يسر الدين أن يكون القرآن على لغات . اهـ

المبحث الرابع في بيان أن اختلاف الأحرف السبعة

اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف تضاد وتناقض

اختلاف هذه السبعة الأحرف المنصوص عليها من النبي صلى الله عليه وسلم اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض ، فإن هذا محال أن يكون في كلام

الله تعالى ؛ قال تعالى: « أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

قال الامام ابن الجزرى : وقد تدبرنا اختلاف القراءات فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال ، أحدها : اختلاف اللفظ لا المعنى ، الثانى : اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما فى شىء واحد ، الثالث : اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما فى شىء واحد ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد .

فأما الأول: فكالاختلاف فى الصراط، وعليمهم، ويؤوده، والقدس، وبحسب، ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط .

وأما الثانى: فنحو مالك ومالك فى الفاتحة، لأن المراد فى القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين ومملكه . وكذا يكذبون ويكذبون ، لأن المراد بهم هم المنافقون ، لأنهم يكذبون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويكذبون فى أخبارهم . وكذا نشرها بالراء والزاي ، لأن المراد بهما هى العظام ، وذلك أن الله تعالى أنشرها أى أحيهاها ، وأنشرها أى رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت ، فضمن الله المعنيين فى القراءتين .

وأما الثالث: فنحو « وظنوا أنهم قد كذبوا » بالتشديد والتخفيف . وكذا « وإن كان مكرهم لنزول منه الجبال » بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى ، وبكسر اللام الأولى وفتح الثانية . وكذا « الذين هاجروا من بعد ما فتنوا » بالتسمية والتجهيل . وكذا « قال لقد علمت » بضم التاء وفتحها . وكذا ما قرئء شاذاً ، وهو « يطعم ولا يطعم » عكس القراءة المشهورة . وكذا « يطعم ولا يطعم » على التسمية فيهما ، فان ذلك كله وإن اختلف لفظاً ومعنى ، وامتنع اجتماعه فى شىء واحد ، فانه يجتمع من وجه آخر بمتنع فيه التضاد والتناقض .

فأما وجه تشديد كذبوا ، فالعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم ، ووجه التخفيف أى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به ، فالظن فى الأولى يقين والضائر الثلاثة للرسل ، والظن فى القراءة الثانية شك ، والضائر الثلاثة للمرسل إليهم .

وأما وجه فتح اللام الأولى ورفع الثانية من «تزلو» فهو أن تكون أن مخففة من الثقيلة ، أى وإن مكرم كامن السدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها ، وفى القراءة الثانية إن نافية ، أى ما كان مكرم وإن تعاضم وتفاقم ليزول منه أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام ، فى الأولى تكون الجبال حقيقة ، وفى الثانية مجازاً .

وأما وجه «من بعد ما فتنوا» على التجهيل؛ فهو أن الضمير يعود للذين هاجروا وفى التسمية يعود إلى الخاسرين .

وأما وجه ضم تاء علمت ، فانه أسند العلم إلى موسى حديثاً منه لفرعون حيث قال : « إن زسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » فقال موسى عن نفسه : « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر » . فأخبر موسى عليه السلام عن نفسه بالعلم بذلك ، أى إن العالم بذلك ليس بمجنون ، وقراءة فتح التاء أنه أسند هذا العلم إلى فرعون مخاطبة من موسى له بذلك على وجه التقرير لشدة معاندته للحق بعد علمه .

وكذلك وجه قراءة الجماعة يطعم^(١) بالتسمية ولا يطعم^(٢) على التجهيل: أن الضمير فى «وهو» يعود إلى الله تعالى ، أى والله تعالى يرزق الخلق ولا يرزقه أحد . والضمير فى عكس هذه القراءة يعود إلى الولي ، أى والولى المتخذ يرزق ولا يرزق أحداً . والضمير فى القراءة الثالثة يعود إلى الله تعالى ، أى والله يطعم من يشاء ولا يطعم

(١) بكسر العين . (٢) بفتح العين .

من يشاء . فليس في شيء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض . وكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده ولزم الايمان به وأنه كله منزل من عند الله ، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، يجب الايمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً ، ولا يجوز ترك . موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك معارض . وإلى ذلك أشار ابن مسعود رضى الله عنه بقوله : « لا تختلفوا في القرآن ولا تنازعوا فيه فإنه لا يختلف ولا يتساقط ، ألا ترون أن شريعة الاسلام فيه واحدة ، حدودها وقراءتها ، وأمر الله فيها واحد ؟ ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكن جماع ذلك كله ، ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها ، فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله » ، قال ابن الجزرى : وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لأحد المختلفين : أحسنت . وفي الحديث الآخر : أصبت ، وفي الآخر : هكذا أنزلت ، فصوب النبي صلى الله عليه وسلم قراءة كل من المختلفين وقطع بأنها كذلك أنزلت من عند الله ، وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء ، فإن اختلاف القراء كله حق و صواب ، نزل من عند الله وهو كلامه ولا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادى ، والحق في نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق و صواب في نفس الأمر ، تقطع بذلك ونؤمن به ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له وميلاً إليه لا غير ذلك ؛ وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة الاقراء ورواتهم : المراد بها أن ذلك القارئ أو ذلك الراوى اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فأثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به

وقصد فيه وأخذ عنه ، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء ، وهذه الاضافة
إضافة اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد . اهـ
وبهذا يندفع ماعساه أن يقال : بين الحديث والآية تناف، فان قوله عليه الصلاة
والسلام لكل من المختلفين : هكذا أنزلت ، أثبت الخلاف، وقوله تعالى : « ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » فناه .

التنوع

في بيان فوائد اختلاف القراءات

وفي اختلاف القراءات وتنوعها ، مع السلامة من التضاد والتناقض ، فوائد
غير ما تقدم من التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة .

منها : بيان حكم مجمع عليه : كقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره : وله أخ أو
أخت من أم ، فان هذه القراءة تبين أن المراد بالاخوة هنا هم الاخوة للأم ،
وهذا أمر مجمع عليه ، ولذلك اختلف العلماء في المسألة المشتركة وهي : زوج وأم
أو جدة واثنان من إخوة لأم وواحد أو أكثر من إخوة الأب والأم ، فقال
الأكثرون من الصحابة وغيرهم بالتشريك بين الاخوة لأنهم من أم واحدة وهذا
مذهب مالك والشافعي وإسحاق وغيرهم . وقال جماعة من الصحابة وغيرهم : يجعل
الثلاث لاخوة الأم ولا شيء لاخوة الأبوين لظاهر القراءة الصحيحة ، وهو مذهب
أبي حنيفة وأصحابه الثلاثة وأحمد بن حنبل وداود الظاهري وغيرهم .

ومنها : ترجيح حكم اختلف فيه : كقراءة « أو تحرير رقية مؤمنة » في كفارة البين
ففيها ترجيح لاشتراط الايمان كما ذهب إليه الشافعي وغيره ، ولم يشترطه أبو حنيفة .
ومنها : الجمع بين حكيمين مختلفين : كقراءة : يطهرن ويطهرن بالتخفيف والتشديد

فينبغي الجمع بينهما ، وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاعتسال .

ومنها : اختلاف حكمين شرعيين : كقراءة وأرجلكم بالخفض والنصب ، فإن الخفض يقتضى فرض المسح ، والنصب يقتضى فرض الغسل ، فبينهما النبي صلى الله عليه وسلم فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره ، ومن ثم وهم الزمخشري حيث حمل اختلاف القراءتين في « إلا امرأتك » رفعاً ونصباً على اختلاف قولى المفسرين والنحاة .

ومنها : إيضاح حكم يقتضى الظاهر خلافه : كقراءة فامضوا إلى ذكر الله ، فإن قراءة فامضوا يقتضى ظاهرها المشى السريع ، وليس كذلك ، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يتوهم منه .

ومنها : تفسير ما لعله لا يعرف : مثل قراءة : كالصوف المنفوش .

ومنها : ما هو حجة لأهل الحق ودفع لأهل الزيغ : كقراءة « وملكاً كبيراً » بكسر اللام ، وردت عن ابن كثير وغيره وهي من أعظم دليل على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة .

ومنها : ما هو حجة لترجيح قول بعض العلماء : كقراءة أو لمستم النساء ، إذ اللبس يطلق على الجس والمس ، كقوله تعالى « فلمسوه بأيديهم » أى مسوه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : لمالك قبلت أو لمست . ومنه قول الشاعر :

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يمدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعدانى فأتلف ما عندى

ومنها : ما هو حجة لقول بعض أهل العربية : كقراءة والأرحام بالخفض .

وليجزى قوما ، على ما لم يسم فاعله مع النصب .

ومنها: ملفى ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة يقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدثها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل .

ومنها: ما فيه من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بمضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد . وما ذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم .

ومنها: سهولة حفظه وتيسر نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة والوجازة، فإن من يحفظ كلمة ذات أوجه أسهل عليه وأقرب إلى فهمه وأدعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة، لاسيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهل حفظاً وأيسر لفظاً .

ومنها: إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليلبثوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر، وإيمانهم الكشف عن التوجيه والتعليل، والترجيح والتفصيل، بقدر ما يبلغ غاية علمهم ويصل إليه نهاية فهمهم . « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى » والأجر على قدر المشقة .

ومنها: بيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى وإقبالهم عليه هذا الاقبال والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صفة صفة، وبيان صوابه وتحرير تصحيحه وإتقانه، حتى جموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطفيان والتطيف، فلم يهملوا تحريكاً ولا تسكيناً، ولا تفخيماً ولا ترفيخاً،

حتى ضبطوا مقادير المدات وتفاوت الامالات ، وميزوا بين الحروف بالصفات مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم ، ولم يصل إليه إلا بالهام باريء النسم .

ومنها : ما ادخره الله تعالى من المنقبة العظيمة والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة الشريفة ، من إسنادها كتاب ربها ، واتصال هذا السند الالهى بسندها خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة المحمدية ، وإعظاما لتدبر أهل هذه الملة الخنيفية . فكل قارىء يوضح حروفه بالنقل إلى أصله ، ويرفع ارتياب الملحد قطعاً بوصله . فلو لم يكن من الفوائد إلا هذه الفائدة الجليلة لكفت ، ولو لم يكن من الخصاص إلا هذه الخصيصة النبيلة لوفت .

ومنها : ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز ، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتميز . فان الله تعالى لم يخل عصرا من الأعصار ولو في قطر من الأقطار من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته ، وتصحيح وجوهه وقرائه ، يكون سببا لوجود هذا السبب التويم على مر الدهور ، وبقاؤه دليلا على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور .

وقد خص الله تعالى هذه الأمة في كتابهم هذا المنزل على نبيهم صلى الله عليه وسلم بما لم يكن لأمة من الأمم في كتبها المنزلة ، فانه سبحانه وتعالى تكفل بحفظه دون سائر الكتب ولم بكل حفظه إلينا . قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وذلك إعظام لأعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى تحدى بسورة منه أفصح العرب لسانا وأعظمهم عنادا وعتواً وإنكاراً فلم يقدروا على أن يأتوا بآية مثله . ثم لم يزل يتلى آناء الليل وآناء النهار مع كثرة الملحدين وأعداء الدين ، ولم يستطع أحد منهم معارضة شيء منه ، وأى دليل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم أعظم من هذا .

وأيضاً فإن علماء هذه الأمة لم تزل من الصدر الأول لآخر وقت تستنبط منه من الأدلة والحجج والبراهين والحكم وغيرها ما لم يطلع عليه متقدم ولا ينحصر لمتأخر، بل هو البحر العظيم الذي لا قرار له ينتهي إليه ولا حد له يوقف عليه. ومن ثم لم تحتج هذه الأمة إلى نبي بعد نبيها صلى الله عليه وسلم كما كانت الأمم قبل ذلك لم يخل زمان من أزمته عن أنبياء يحكمون أحكام كتابهم ويهدونهم إلى ما ينفعهم في عاجلهم ومآبهم، قال الله تعالى: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والريانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله» فوكل حفظ التوراة إليهم. ولهذا دخلها بعد أنبيائهم التحريف والتبديل. ولما تكفل الله تعالى بحفظه خص به من شاء من بريته، وأورثه من اصطفاه من خليقته، قال تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لله أهلين من الناس» قيل من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي وغيرهم من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات اهـ. من النشر، والجامع، والسكواكب الدرية، ملخصاً.

على محمد الصباع

شيخ عموم المقاريء المصرية

كتاب الله

من كلمات سيدنا أبي بكر رضى الله عنه :

هذا كتاب الله فيكم ، لا يطفأ نوره ، ولا تنقض عجائبه ، فاستضيئوا بنوره ، وانتصحووا به ، واستبصروا فيه ليوم الظلمة .

أسماء القرآن

المراجع : الاتقان للسيوطي ، دائرة المعارف البريطانية ، المفردات للراغب الأصفهاني ، تفسير الطبري : المقدمة .

طريقة العرض : منزلة القرآن من الأدب الاسلامي ، رأى صاحب كتاب البرهان في أسماء القرآن ، رأى الطبري في هذا الموضوع ، آراء العلماء في أصل لفظة القرآن ثم الفرقان ثم الكتاب ثم الذكر ، تفضيل رأى الطبري ، لفظة المصحف ومنشؤها ، القرآن اسم جديد على العرب .

القرآن الكريم دستور الاسلام ، وسفر أدبي جليل أعجز العرب فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة مثله على علو كعبهم في فنون القول ، وألان قلوبهم ، وأقنع عقولهم ، وهذب نفوسهم ، وطوام إلى الاسلام ، وجمعهم على دين واحد في أمة واحدة . هذا الكتاب الذي لا ريب فيه يجمع بين أعلى المكانتين الدينية والأدبية ، وهو دعامة الفترة التي نطق عليها العصر الاسلامي ، والعامل القوي في إنشاء أدب ذلك العصر . ونحن في دراستنا للأدب الاسلامي لا بد من أن ندرس القرآن الكريم ، وأول ما يلقانا في هذه الدراسة هو اسم القرآن .

وإذا أردنا أن نعرف ما هذا الاسم وكيف أتى وأتى خلق ؟ وهل له اسم واحد ، أم له أسماء أخرى ؟ وما هي هذه الأسماء ؟ وما أصلها ؟ - نجد أن السيوطي نقل في كتابه الاتقان عن أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك صاحب كتاب البرهان : أن الله سمي القرآن بخمسة وخمسين اسماً ، فسماه : كتاباً ، ومبيناً

وقرآنا، وكريماً، وكلاماً، وهدى، ورحمة، وفرقاناً، وشفاء، وذكرآء، وحكماً... ولن
أعرضها جميعاً، ولكنى سأختير بعض الأسماء الغريبة حتى أظهر لكم أن هذا العالم أتى
بصفات القرآن وخواصه وقدمها على أنها أسماء له، وقد ذهب في هذا منهج رجال
اللغة الذين يقولون إن اللغة العربية بحر واسع غنى بالكلمات، فثلاً هو يسميه
حبلاً، ويستدل على ذلك بقول الله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»..
وقد سماه بذلك لأن من تمسك به وصل إلى الجنة. وقال إن من أسمائه أيضاً
أحسن الحديث ومثاني ومتشابهاً، وذلك في قوله تعالى: «الله نزل أحسن الحديث
كتاباً متشابهاً مثاني».. وفسر المثاني بأن فيه بيان قصص الأمم الماضية، فهو
ثان لما تقدم، وقيل لتكرار القصص والمواعظ فيه، وقيل لأنه نزل مرة بالمعنى
ومرة باللفظ، والمتشابه لأنه يشبه بمضه بعضاً في الحسن والصدق. وسماه الروح
وقال: لأنه تحمياً به القلوب والأنفس، واستدل بقول الله تعالى: «أوحينا إليك
روحاً من أمرنا». وسماه وحياً من قوله تعالى: «إنما أنزركم بالوحي». وسماه بشرى
وبلاغاً لأنه أبلغ به الناس ما أمروا به ونهوا عنه. فمن هذا نرى أن صاحب
البرهان أسرف كل الاسراف حين عدد هذه الصفات على أنها أسماء، فنحن إذا
قلنا «القرآن الكريم» فليس لنا أن نقول إن الكريم اسم جديد للقرآن بل هو
صفة لا أكثر ولا أقل، والمعقول أن يطلق على الشيء اسم واحد أو اثنين أو ثلاثة
إذا أخذنا الأسماء التي وضعها القبائل المختلفة له.

فاذا نحن تركنا رأى صاحب البرهان، رأينا كاتباً آخر كالطبري قد
اقتصر على أربعة أسماء للقرآن، فهو يقول: إن الله سمى كتابه القرآن،
والفرقان، والكتاب، والذكر.

وعليها الآن أن نبحث في كل اسم من هذه الأسماء من أين أتت؟ وما حكمة
إطلاقها دون غيرها على هذا الكتاب المقدس؟

يقول السيوطي وتشارك معه دائرة المعارف البريطانية : إن العلماء المسلمين مختلفون في لفظ وفي أصل وفي معنى كلمة القرآن ، فبعضهم يلفظ القرآن بدون همزة ويرى أنه اسم علم أطلق على كتاب الله الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام . مثله مثل التوراة والانجيل وبه قرأ ابن كثير وهو مروى عن الشافعي ، وبعضهم يقول ومنهم الأشعري : إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمنت أحدهما إلى الآخر ، وسمى كتاب الله قرآناً لضم السور والآيات والحروف فيه ، ولو أنى أرى أن هذا تعليل ضعيف ، فكل كتاب تضم أبوابه وفصوله وحروفه بعضها إلى بعض ولكن لا يسمى كل كتاب قرآناً ، ويقول بعضهم القرآن مشتق من القرأتين لأن الآيات فيه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً ، فهذه الصفة ليست من الصفات التي يمتاز بها القرآن بل هي صفة طبيعية فيه ، لأنه لو لم يكن كذلك لكان مضطرباً متناقضاً ، ولا يوجد هذا في الكتب العادية غالباً ، فكيف بكتاب الله الذي بهر العرب بأسلوبه وطريقته .

فلنبحث إذن عن أصل آخر له نصيب أكبر من المنطق السليم .
قال آخرون : إنه مهموز وقال قوم منهم اللحياني وابن عباس : هو مصدر لقرأت كالرجحان والفران ، سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر .
ويقول الطبري : إن يحيى بن عثمان بن صالح السهمي حدثني ، قال حدثنا عبد الله ابن صالح ، قال حدثني معاوية بن صالح عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » يقول : إذا بيناه اعمل به . ومعنى قول ابن عباس : فاذا بيناه بالقراءة اعمل بما بيناه لك بالقراءة . ومما يوضح صحة ما قلنا في تأويل حديث ابن عباس هذا ما حدثني به محمد بن سعد ، قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن عبد الله بن عباس « إن علينا جمعه وقرآنه » . قال : أن قرئك فلا تنسى ، فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه . يقول : إذا تلى عليك فاتبع

مافيه . قال أبو جعفر : فقد صرح هذا الخبر عن ابن عباس أن معنى القرآن عنده القراءة فانه مصدر من قول القائل قرأت على ما قد قلناه ، وقد أتى الطبرى بكل هذا الحديث ليبرهن على أن ابن عباس يرى أن القرآن مصدر من قرأت ، وأرى أن هذا الرأي فيه كثير من الوجهة .

وهذا رأى آخر يقوله الأصفهاني في كتابه المفردات: إن أهل اللغة يقولون: إن القرء بمعنى الجمع والقراءة ضم الحروف والكلمات بمصها إلى بعض في الترتيل ، وليس يقال ذلك لكل جمع ، فلا يقال قرأت القوم إذا جمعهم ، ولا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة . ويقول الأصفهاني: إن بعض العلماء يسميه قرآناً من بين كتب الله لتكونه جامعاً لثمره كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار إليه تعالى بقوله : « تبياناً لكل شيء » « قرآناً عربياً غير ذى عوج » .

وذهب هذا المذهب أيضاً الزجاج وقتادة ، فالسيوطي في الاتقان يقول: إن الزجاج يقول القرآن وصف على فعالن مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قرأت الماء في الحوض أى جمعه . وجاء في الطبرى أن قتادة فسر الآية : « إنا علينا جمعه وقرآنه » يقول : حفظه وتأليفه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » يقول : اتبع حلاله واجتنب حرامه . فرأى قتادة إذن أن تأويل القرآن التأليف . قال أبو جعفر: ولكلا القولين - يعنى قول ابن عباس من أن القرآن مصدر من قرأ بمعنى تلا، وقول قتادة من أن القرآن من القرء بمعنى الجمع والتأليف - وجه صحيح من كلام العرب، غير أن أولم قوليهما بتأويل قول الله تعالى : « إنا علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » قول ابن عباس ، لأن الله تعالى أمر نبيه في غير آية من تنزيله اتباع ما أوحى إليه، ولم يرخص له ترك شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن له . ويقول أبو جعفر : إذا كان ذلك كما يقول قتادة لكان النبي صلى الله عليه وسلم غير مكلف بالعمل بقول الله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » ولا قوله تعالى : « يا أيها

المدرّج فأنذر» لأن الله تعالى لم يكن ألف إلى ذلك غيره من القرآن . ومن هنا فضل أبو جعفر رأى ابن عباس على رأى قتادة ، وهو على حق في هذا . ورأى آخر برويه السيوطى فى الاتقان عن قطرب : أنه إنما سمى قرآنًا لأن القارىء يظهره ويبيّنه من فيه أخذًا من قول العرب: ما قرأت الناقة سلاقط، أى مارمت بولد، أى ما أسقطت ولدًا، أى ما حملت قط . والقرآن بلفظه القارىء من فيه ويلقيه فسمى قرآنًا . والسيوطى يرى أن رأى الشافعى هو أحسن الآراء ، وهو أن القرآن اسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله .

هذه هى جميع الأقوال التى وردت فى لفظ القرآن . وأفضلها عندى رأى ابن عباس ، وقد يجوز أن يطلق على القرآن توراة وإنجيل ، جاء فى الاتقان: أخرج ابن الضريس وغيره عن كعب قال فى التوراة « يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة تفتح أعينا عمياء، وآذانًا صماء، وقلوبًا غلفاء » وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة قال « لما أخذ موسى الألواح قال يارب إني أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى قلوبهم فاجعلهم أمتى؛ قال تلك أمة أحمد». فى هذين الأثرين تسمية القرآن توراة وإنجيلا ، ومع هذا لا يجوز الآن أن يطلق عليه ذلك . ثم لفظة الفرقان وهى ثانى اسم أتى به الطبرى فى كتاب الله يقول الأصفهاني فى تفسير الفرقان : إنه يستعمل فى الفرق بين الحق والباطل ، ويقول إنه اسم لامصدر ، وقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » أى نورًا وتوفيقًا على قلوبكم يفرق به بين الحق والباطل . وأما الطبرى فيقول : إن تفسير أهل التفسير جاء فى ذلك بألفاظ مختلفة هى فى المعانى مؤتلفة، فقال عكرمة فيما حدثنا به ابن حميد: إنه كان يقول هو النجاة . وكذلك كان السدى يتأوله . وكان ابن عباس يقول: الفرقان هو المخرج، حدثنى بذلك يحيى ابن عثمان بن صالح قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن

أبي طلحة عن ابن عباس، وكذلك كان مجاهد يقول في تأويله: إن يوم الفرقان هو يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل .

ويقول الطبري: إن كل هذه المعاني على اختلاف ألفاظها متقاربات في المعاني، وذلك أن من جعل له مخرج من أمر كان فيه فقد جعل له ذلك المخرج منه نجاة، وكذلك إذا نجى منه فقد نصر على من بغاه فيه سوءاً، وفرق بينه وبين باغيه بالسوء. ويقول الطبري: أصل الفرقان عندنا هو الفرق بين الشيثين والفصل بينهما. وقد تبين بذلك أين القرآن سمي فرقاناً لفصله بحجته وأدلته وحدوده وفرائضه وسائر معاني حكمه بين الحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصره الحق وتخليده المبطل حكماً وقضاء. وأما قوله تعالى: « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » قيل أريد به يوم بدر، فإنه أول يوم فرق فيه بين الحق والباطل؛ وقد أطلق الله كلمة الفرقان على التوراة والإنجيل من قبل، فقد قال الله تعالى: « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان » وقال تعالى أيضاً: « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان » وقال جل شأنه: « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

أما الكتاب وهو الاسم الثالث للقرآن، ويرد هذا الاسم كثيراً في أول السور المبدوءة بالحروف مثل: « آل تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » و« طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين » ولم يكن يقصد به سفيراً كما هو الآن، لأن القرآن عند ما أطلق عليه هذا اللفظ لم يكن قد كتب ودون بعد، وإذن كان معنى الكتاب هو هذه الآيات فقط التي تقرأ وتتل. وفي مفردات الراغب الأصفهاني يقول في مادة كتب: هي ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ، وإذا صح هذا التفسير اللغوي كان إطلاق كلمة كتاب على القرآن عند نزوله إطلاقاً صحيحاً؛ إما لأنه يمكن أن يتلى وتضم عباراته وألفاظه بعضها إلى بعض، وإما لأنه في طريقه لأن يدون في صفحات وتجمع بعضها إلى بعض .

والذكر وهو آخر اسم أتى به الطبري، وقد جاء في قوله تعالى: « وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » ويحتمل هذا الاسم معنيين، أحدهما: أنه ذكر من التذكيرة، يذكر الله به عباده، ويعرفهم فيه حدوده وفرائضه، ويذكرهم فيه باليوم الآخر وما فيه من نعيم وعذاب. والثاني أنه ذكر وشرف وفخر ورفعة لمن آمن به وصدق بما فيه كما قال جل ثناؤه « وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » يعني أنه شرف له ولقومه. ونحن الآن أمام رأيين: رأى صاحب البرهان الذي عدد خمسة وخمسين اسماً للقرآن، ورأى الطبري الذي قال: إن أسماء القرآن أربعة - أيها أقرب إلى العقل؟ لا شك أن رأى الطبري هو المعقول وهو الذي يؤخذ به، ولو أن هناك بعض العلماء يعتمدون للقرآن اسماً واحداً فقط هو القرآن كما هو الشأن مع التوراة والإنجيل. ولا بد لنا قبل أن ننتهي من هذا البحث أن نعرض للفظ المصحف، فهو اسم من أسماء القرآن أيضاً. حكى المظفرى في تاريخه قال: لما جمع أبو بكر القرآن قال سموه. فقال بعضهم: سموه إنجيلا، فكرهوه؛ وقال بعضهم: سموه السفر، فكرهوه؛ وقال بعضهم نسميه التوراة أو الإنجيل، قال: هذه أسماء لكتب أخرى. فقال ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتاباً يدعو به المصحف فسموه به، لأن أبا بكر كان يميل إلى الحبشة.

يقى أن نقول: إن القرآن الكريم كان جديداً في اسمه على العرب. وقال الجاحظ في تفسير ذلك: سمي الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمي العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، فسمى جلته قرآناً كما سموا ديواناً، وسمى بعضه سورة كما سموا قصيدة، وسمى بعضها آية كما سموا بيتاً، وآخرها فاصلة كقافية. وأخيراً هذا عرض سريع لما استطعت جمعه في موضوع هذا البحث أستفيد منه وعساي أفيد.

عبد الوهاب معروف

من فضائل القرآن

رعاية الأمانة

قال الله عز وجل : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .
السبب في نزول هذه الآية الكريمة ، هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أراد يوم فتح مكة أن يدخل الكعبة المشرفة ، وكان مفتاح بابها عند سادنها ،
عنان بن طلحة - والسادن : الخادم - فقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
دخول الكعبة فقال : « لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه » فولى على بن أبي طالب
يده وأخذ المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله البيت فضلى ركعتين ، فلما خرج
سأله عمه العباس أن يعطيه المفتاح ليجمع بين السدانة والسقاية - والسقاية : سقى
الحجيج - . وم رسول الله أن يعطى العباس المفتاح فأنزل الله الآية « إن الله يأمركم
أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه
أن يرد المفتاح لعنان ، وأن يعتذر له ففعل ، فقال عنان : « يا على أكرهت وأذيت
ثم جئت رفيئاً شفيقاً » . فقال على : لقد أنزل الله في شأنك هذه الآية وتلاها عليه ،
فقال عنان « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

ثم نزل جبريل عليه السلام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المفتاح
والسدانة في آل عنان ما دام هذا البيت » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« خذوها يا بنى طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم » ثم إن عثمان هاجر إلى المدينة وسلم المفتاح لأخيه شيبة بن طلحة ، وهو مع ذريته حتى اليوم .

وهذه القصة تدل على أن الاسلام بلغ الغاية في المحافظة على الأمانة ، وقد حرص على أدائها حتى للمخالفين في الدين ، وهي عدالة التزامها الاسلام ، وقد صرح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى : « ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، اغدولوا هو أقرب للتقوى » يعني لا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا .

وقد اهتم الرسول الكريم بفضيلة الأمانة قولاً وفعلًا . والأحاديث النبوية كثيرة في الحث على الأمانة والتحذير من الخيانة ، وقد جعل الأمانة علامة الايمان ، والخيانة علامة النفاق ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، وقال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإن صام وصلى واعتمر وحج وزعم أنه مسلم » .

وجاء رجل من أهل العالية إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني بأشد شيء في هذا الدين وألينه ؟ فقال « ألينه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأشدّه يأخا العالية الأمانة ، لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة له ولا زكاة له » .

وللأمانة في نظر علماء الاجتماع الاخلاقيين مكان ملحوظ ومقام مرموق ، فهي من أهم الأسس التي يتركز عليها الأمن والنظام والهدوء والسلام ، والمحبة والوئام والثقة والاحترام ، وهي عامل من عوامل استئصال الشرور والجرائم والفساد والمآثم .

فالمطل خيانة لأمانة الوفاء بالديون ، والكذب خيانة لأمانة القول ، والقتل خيانة لأمانة الدماء، والسرقه والغش والتدليس والنصب خيانة لأمانة الاموال ، والاعتداء على الحرمات بالغيبه ونحوها خيانة لأمانة الأعراض . ويخطىء من يقول إن الأمانة مقصورة على أمانة المال والودائع ، والواقع أنها أوسع دائرة ، وأبعد أنراً من هذا المعنى المحدود ، فهي تتناول أمانة الاموال والاقوال والدماء والأعراض وأمانة التكليف الشرعية جميعها . قال ابن مسعود . « الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة » وعدد أشياء أخرى تدخل في نطاق العبادات والمعاملات . وسئل البراء بن عازب عما قاله ابن مسعود فقال : صدق . أما سمعت قول الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ؟ » وليس غريباً أن يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمانة في خطبة الوداع إذ يقول فيها : « فمن كانت عنده أمانة فليؤدها للذى ائتمنه عليها » . فالأمانة ملاك الاخلاق الكريمة ، وقوام الشرائع النبيلة ، وصفة من صفات الانبياء والمرسلين ، وقد كان لقب « الأمين » قبل الاسلام كالعلم للنبي صلى الله عليه وسلم إذا أطلق لا ينصرف إلا إليه وحده من بين أهل مكة . لما عرفوه فيه من أداء تام للأمانات ، ورعاية في كل الحالات .

أيها القراء الأعزاء : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

عبد الله المراغى

مدير قسم المساجد

جمع القرآن

- ٤ -

جمع القرآن بمعنى كتابته

تقدم أن جمع القرآن بمعنى كتابته ثلاثه أنواع ؛ وإليك تفصيل كل منها :

١ - جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

عناية النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن وترغيب الصحابة رضوان الله عليهم في حفظه - أوفت على الغاية وبلغت المنتهى ؛ ضرورة أنه نبي أمي ، بث في قوم أميين ، جل اعتمادهم على الحفظ ، حتى لشهد ذلك جليا في أشعارهم وخطبهم التي هي محل مفاخرهم ، ولأن أدوات الكتابة عندهم ليست ميسورة لكونهم في عصر البداوة ، ومن ثم انصرفوا إلى حفظ التنزيل وتسابقوا في ذلك .

ومع صعوبة الكتابة وأدواتها لم تنصرف همه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحفظ فحسب ، بل اهتم بشأن الكتابة وشجع على تعليمها ، وبهذا التشجيع جد الصحابة رضى الله عنهم في تعلم القراءة والكتابة حتى مهر منهم الكثير بمكة والمدينة على قرب عهدهم بالبداوة وقلة وسائل الكتابة . ولما توجهت همه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كتابة القرآن الكريم ليعاضد المحفوظ المنقوش ويقوى المقروء المكتوب ، اتخذ كتابا لكتابة القرآن الكريم ممن برعوا في فن الكتابة ووضع فيهم ثقته لأنهم مع خذقهم الكتابة جمعوا فضائل الكاتب من الأمانة والضبط وإرهاق السمع ووعى القلب ؛ وناهيك باختيار النبي صلى الله عليه وسلم إياهم كتابا للقرآن الكريم ونيلهم هذا الشرف العظيم . هؤلاء الكتاب كتبوا آيات التنزيل كما أملاها عليهم الرسول صلوات الله

وسلامه عليه، فقد كانت تنزل عليه الآية أو الآيات فيقول لهم: ضعوا هؤلاء الآيات في موضع كذا مع سورة كذا . وكانت كتابة ما نزل من القرآن ملتزمة منهم حتى زمن الاختفاء في أول الاسلام؛ إذ كان المسلمون يتدارسون القرآن من الصحائف في البيوت، وكان المشركون يدعون الدراسة إذ ذاك: الهينة . ومن شواهد ذلك حديث عمر قبل إسلامه مع أخته وختنه، وسيأتي .

وكانت العرب تكتب كل شيء نفيس أو مهم عندهم كالأشعار الفصيحة والخطب البليغة، ومن شواهد ذلك القصائد المعلقة، والصحيفة التي أكتتها الأرضة، ولزيادة التوثيق كان الكتاب يعرضون المكتوب على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الكتابة المرة بعد المرة، لأنه الكتاب الخالد الذي ترجع إليه أجيال الناس في دينهم وأقضيتهم، ولم يقتصر أمر كتابة القرآن على الكتاب الذين كان يعلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان بعض الصحابة يكتب ما حفظه أو بلغه في صحف أو مصحف بحسب ما يتيسر له . وبالجملة لم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن محفوظ في الصدور من كثير من الصحابة، مكتوب في السطور، مرتب الآيات في السور حسب إرشاد جبريل للنبي الأمين عليهما أفضل الصلاة والسلام . وقد حرص الصحابة على القطع المكتوبة، وكانت أعلى عليهم من أنفسهم، وأنفس عندهم من كل نفيس، وأحب إليهم من كل حبيب جليس؛ والصحابة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوه لم يكونوا قد جمعوه بين الدفتين، ولم يلتزموا توالى سوره؛ وذلك لأن الواحد منهم كان إذا حفظ سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها، ثم خرج في سرية أو غزوة أو غاب في شأن من الشؤون ونزل وقت غيبته شيء من القرآن ثم رجع أخذ بعد رجوعه في حفظ ما نزل وقت مغيبه وكتابته، وتبع ما فاته على حسب ما يتيسر له، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير من هذا الوجه . وكان منهم من يعتمد على حفظه فلا

يكتب ، على ما كان من عادة العرب في حفظ أنسابها وأشعار شعرائها من غير كتابة منهم ، وبعضهم كان يكتبه في أدوات مختلفة من قرطاس وكتف وعسب ، ثقة منهم بما كانوا يمهّدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون بأكثرهم حاجة إلى مصحف ينظر فيه ، وبعضهم كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة ، وبعض ما هو ثابت بنجر الواحد .

وصفة القول : أن القرآن كتب كله في حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وحفظه أصحابه رضي الله عنهم سوراً وآيات وكلمات وحروفاً مع الضبط والاتقان ، ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وهو محفوظ في الصدور مكتوب في السطور ، وتركهم أمة واحدة ، على دين واحد ، وكتاب واحد .

الروايات في كتابة القرآن

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

ورد في كتابة القرآن في عهد النبي عليه الصلاة والسلام روايات كثيرة ؛ أكتفي منها بما يأتي :

١ - روى البخارى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « أرسل إلى أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة قال : إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبع القرآن فمتبعت » الحديث ، وسيأتي بطوله في جمع أبي بكر رضي الله عنه .

٢ - وروى البخارى عن البراء قال « لما نزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » قال النبي صلى الله عليه وسلم : ادع فلاناً ، فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف ، فقال : اكتب « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم ، فقال : يا رسول الله أنا ضربه ،

قتلت مكانها « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله » وروى البخارى من طرق أخرى عن البراء ما يبين أن الكاتب الذى أبهم هنا هو زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٣ — وروى أحمد والنسائى والترمذى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس عن عثمان رضى الله عنه أنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من يكتب فيقول : ضموا هذه الآيات في السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » الحديث .

٤ — أخرج الحاكم بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع » الحديث . قال البيهقى : يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم اه . وفي مسند أحمد : حدثنا يحيى بن إسحق أخبرنا يحيى بن أيوب ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، أن عبد الرحمن بن شماسة أخبره أن زيد بن ثابت قال : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال : طوبى للشام . قيل : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه .

٥ — وروى البيهقى بسند حسن عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله بن الأرقم فكان يكتب له إلى الملوك ، فبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب ويختم ولا يقرؤه ، ثم استكتب زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي ويكتب إلى الملوك ، وكان إذا غابا كتب جعفر بن أبي طالب . وفي الاصابة : أخرج البغوى من طريق محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم استكتب عبد الله

ابن الأرقم بن عبد يعقوب ، وكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم ولا يقرؤه لأمانته عنده. واستكتب أيضاً زيد بن ثابت وكان يكتب الوحي ، وكان إذا غاب بن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى أحد ، أمر من حضر أن يكتب ، فمن هؤلاء : عمر ، وعلي وخالد بن سعيد ، والمغيرة ، ومعاوية ٥١ .

٦ — وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه » ورواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف بلفظه « لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحاه » ٥١ . وهذا الحديث يدل بمفهومه على أن القرآن كان يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وإنما نهى عن كتابة غيره أول الأمر خوف اختلاطه بالقرآن ثم أذن في كتابة غير القرآن بعد ذلك كما ثبت في أحاديث صحيحة كثيرة .

٧ — وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية « ألق الدواة ، وحرف القلم ، وانصب الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم ، وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكرك » .

٨ — وروى ابن الأثير في أسد الغابة عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال : قال لنا عمر رضي الله عنه : أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء الإسلام ؟ قلنا نعم . فذكر لنا قصة دخوله على أخته فاطمة بنت الخطاب ، وقد بلغه إسلامها مع زوجها سعيد بن زيد ، وضربه إياها ، ثم قال : ودخلت وأنا مغضب ، فجلست على السرير ، ونظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت وقلت هذا الكتاب أعطينيه . فقالت لا أعطيك لست من أهله ، أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ، وهذا لا يمسه إلا المطهرون . قال : فلم أزل بها حتى أعطتنيها فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي ، ثم رجعت إلى نفسي فاذا فيها « سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وكما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت ، ثم ترجع إلي نفسي حتى بلغت « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » حتى بلغت إلى قوله تعالى « إن كنتم مؤمنين » . قال : فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . الحديث . وفيه دلالة على أنهم كانوا يكتبون القرآن .

٩ — وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتهيأ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو .

وهذا الحديث يدل على أن القرآن كان مكتوباً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا فكيف ينهى عن أمر لا وجود له .

١٠ — وقال البغوي في شرح السنة : يقال إن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي وكتبها لرسول صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات اه .

ولعله لذلك اعتمد عليه أبو بكر ، وعمر ، وولاه عثمان كتابة المصاحف .

كل هذه الروايات تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم بكتابة القرآن واتخذ له كتاباً لهذا الغرض ، وأن القرآن كتب كله في عهده وحضرته ، بمكة والمدينة ، بكل إتقان وضبط ما

فريد العبادي

المدرس بالأزهر

عصمة الانبياء

- ٢ -

الآيات الواردة في سيدنا إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى: « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني برىء مما تشركون » .

ربما يفهم من لم يعرف صفات الأنبياء ومنزلتهم من الله سبحانه وتعالى وما طبعت عليه نفوسهم من ظاهر هذه الآيات أن إبراهيم عليه السلام اعتقد ألوهية الكوكب ، ولما رآه قد غاب بعد أن كان ظاهراً أومضياً رجح عن اعتقاد ألوهيته ، فلما ظهر القمر ورأى حجمه أكبر من حجم الكوكب وضوءه أكل اعتقد ألوهيته ، فلما غاب رجح عن اعتقاده ، فلما طلعت الشمس ورآها أكبر من الكواكب التي رآها وأقوى منها ضوءاً اعتقد ألوهيتها ، فلما أفلت وغابت تبرأ من الشرك واعتقد أن المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى .

ولما كان فهم الآية على هذا الوجه يصادم ما أجمع عليه أهل الشرائع والملة من استحالة الشرك على الأنبياء قبل البعثة وبعدها عمداً أو سهواً ، أوجب صرف الآية عن ذلك الظاهر ، والعدول إلى طريق آخر يسلمه العقل لذلك نقول : إن من طرق إزام المخالف لك وإبطال قوله أن تتظاهر له أنك

تسلم ما يقوله (وأنت في الواقع لا تعتقد ولا تسلم له ما يدعيه) ثم تبين له ما يترتب على قوله من المفساد أو ما يمنع من تسليبه ، وربما كان ذلك الطريق من أقرب الطرق إلى إقناع خصمك وإلزامه الحجة .

هذا الطريق هو الذي سلكه سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه رجاء إيمانهم فكأنه قال لهم : سلمت لكم جدلاً أن الكوكب أو القمر أو الشمس إله ولكن قضى العقل بأن الإله لبس من جنس الحوادث فلا يتغير ولا يتصف بالأعراض فلا يوصف بالانتقال من مكان إلى مكان ولا بالظهور ثم الخفاء وبالعكس ، وهذه الكواكب قد اتصفت بذلك فلا تصلح أن تكون آلهة

وبفهم الآية على هذا الوجه لا تكون دالة على صدور الشرك من إبراهيم ، بل تدل على أنه ينهى قومه عنه ، ويطلبهم بالتوحيد وقصر العبودية على الله سبحانه وتعالى وحده

وقال الله تعالى في سورة الأنبياء: « وتالله لا يكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون » .

حكاية لما وقع من إبراهيم عليه السلام ، وحاصله أنه أقسم بالله ليجتهدن في كسر هذه الأصنام بعد الانتهاء من عبادتهم لها وخروجهم إلى عيدهم ، فلما خرجوا إلى عيدهم توجه إبراهيم إلى الأصنام ومعه فأس ، فأخذ في تكسير جميع الأصنام فجعلها قطعاً ما عدا الصنم الكبير فانه تركه ولم يتعرض له ، ليتبين لهم عند الحاجة التي وقعت بينهم وبينه لمعرفة كاسر الأصنام أن الأصنام لا تضر ولا تنفع ، ولو كانت تضر أو تنفع لأمكن لذلك الصنم الكبير أن يدفع الضرر عن غيره . فهذا المستفاد صريح في أن الله أخبر بأن الذي كسر الأصنام هو إبراهيم عليه السلام .

ثم قال تعالى حكاية لما دار بين قوم إبراهيم وبينه « قالوا أنت فعلت هذا

بأهتينا يا إبراهيم؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوه إن كانوا ينطقون .

ظاهر هذه الآية أن قوم إبراهيم لما استفهموا منه عن الفاعل لكسر الأصنام أجابهم بأن الذى كسر الأصنام هو الصنم الكبير ، وبناء على ذلك الظاهر يكون إخبار إبراهيم بأن الفاعل هو الصنم الكبير غير مطابق للواقع ، لأن الله تعالى قد أخبر بأن الذى جعل الأصنام قطعاً هو إبراهيم عليه السلام فيكون كاذباً فى ذلك الاخبار ، والعقل أحال الكذب على الأنبياء . ويجب عن ذلك بأن إخبار إبراهيم ليس بكذب لأنه لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد إثباته لنفسه مع التعريض بأن الصنم لا يضر ولا ينفع ، وهذا له نظير فى المخاطبات العادية . مثلاً إذا كتب شخص كتاباً بخط جميل وكان مشهوراً بأنه يجيد الكتابة فقال له رجل أمى أو كاتب إلا أن خطه ليس بحسن : أنت كتبت هذا ؟ فأجابه بقوله : بل كتبتة أنت ، فان غرض المجيب إثبات أنه كتبه مع الاستهزاء بالسائل ، وهذا نشأ من أن كتابة الكتاب أمرها دائر بين المجيد للخط والعاجز ، وحيث كان العاجز لا يصلح أن يكون مصدراً لها فتمين أن يكون الكاتب هو المجيد للخط . كذلك أمر كسر الأصنام دائر بين إبراهيم وذلك الصنم الكبير ولا ثالث ، لأن كل القوم ماعداً إبراهيم يعبدون الأصنام ويعظمونها فلا يصدر منهم تعد عليها ، فيكون غرض إبراهيم من قوله « بل فعله كبيرهم » الاستهزاء بذلك الصنم الكبير ، وإثبات أنه هو الذى كسرها لأنه هو الذى يقدر على ذلك ، ولذلك كان وقت نطقه بهذا الجواب قد علق الفأس فى عنقه لتكون قرينة على ما يريد . ويمكن أن يقال إنه كذب ، وقصده إبراهيم ليتوسل به إلى إقناع القوم بأن الأصنام لا تضر ولا تنفع . ولا يضر ارتكاب الكذب فى هذه الحالة لأنه ليس متعلقاً بالرسالة ولا بتبليغ الأحكام ، وترتبت عليه مصلحة وهى إزام هؤلاء القوم بالحجة ، فلا مانع من أن يرخص لإبراهيم عليه السلام فى مباشرته .

وقال الله تعالى حكاية لما وقع من إبراهيم عليه السلام : « فنظر نظرة في النجوم ، فقال إني سقيم ، فتولوا عنه مدبرين » .

روى أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا يعظمون الكواكب ، ويعتمدون أنها مصدر الخير والشر ، ويتخذون لكل كوكب منها هيكلًا ، ويجعلون فيها أصنامًا تناسب ذلك الكوكب بزعمهم ، ويجعلون عبادتها وتعظيمها ذريعة إلى عبادة تلك الكواكب ، فجاء يوم عيد لهم وكانوا يخرجون فيه ، فأرسل ملكهم إلى إبراهيم عليه السلام يقول له : إن غدًا عيدنا فاحضر معنا .

فراى أن الفرصة قد حانت لحصول ما عسى أن يكون سبباً لتوحيدهم فأراد أن يعتذر عن الحضور على وجه لا ينكر فيه عليه « فنظر نظرة في النجوم » أى تأمل نوعاً من التأمل كتأمل وتفكر الصديقين والصالحين في خلق السموات والأرض . ولكنه أوهمهم أنه يتأمل في أحوالها التى تدل بزعمهم على حصول الحوادث فقال لهم « إني سقيم » أى أصاب بسقم ، وهو صاهق في ذلك ، لأن كل إنسان لا بد أن يصاب باعتلال المزاج أو سريان الموت . فلم يرتكب كذبا في ذلك الاخبار ، ولكن القوم ظنوا أنه مصاب بالطاعون لأنه كان منتشرًا بينهم ، فتولوا عنه هارين مخافة العدوى . وقيل إن إبراهيم عليه السلام كانت تعرض له حمى في أوقات معينة ، فنظر في النجوم ليعرف هل ساعة تحرك الحمى عليه قد حانت ؟ فراى أن الساعة قد حانت فأخبر بأنه سقيم ، وكان قد حل به السقم ، فكان صادقاً في قوله ، فيكون النظر في النجوم للاستدلال بها على حلول الوقت ، وهذا لاشيء فيه . وعلى هذا البيان لا يكون في الآية ما يشير إلى أن إبراهيم حصل منه كذب .

ماورد في حق موسى عليه السلام

قال الله تبارك وتعالى « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى

من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين .
قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ، إنه هو الغفور الرحيم .

تفيد هذه الآيات على طريق الاجمال أن موسى عليه السلام دخل المدينة وهي
(منف) كما نقل عن ابن عباس في وقت لم يكن دخوله متوقفاً فيه ، فوجد فيها
رجلين يتحاران أحدهما من الطائفة التي شايتمته في الدين وهي بنو إسرائيل ، والآخر
من مخالفه في الدين وهم القبط ، فطلب من كان من شيمة موسى أن ينصره على
عدوه ، فضرب موسى القبطي بكفه المضنومة أصابهما قتل الرجل ، فقال موسى : هذا
من عمل الشيطان وتزيينه إنه عدو يسعى في إضلال غيره بين العداوة وظاهرها ، ثم
قال بعد ذلك : رب إني ظلمت نفسي بذلك العمل الذي ترتب عليه القتل فاغفر لي ذنبي
فغفر الله له . هذا هو ما تفيد الآية إجمالاً . فتعبير موسى بأنه ظلم وطلب المغفرة من
الله يدل على أنه ارتكب ذنباً ؛ وهذا بظاهره ينافي ثبوت العصمة للأنبياء عليهم
الصلاة والسلام . ولكن صريح الآية يفيد أن الذي حصل من موسى هو الوكز وهو
الضرب بالكف مجموعة الأصابع وهو من الصغائر ، والقتل ترتب على هذا الوكز
ولم يكن مقصوداً بل كان من قبيل الخطأ ، وارتكاب الصغائر التي لا تشعر بالخسة
لا يخل بالعصمة ، وكان أيضاً قبل البعثة بدليل قوله : « ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين » وإنما ندم موسى بعد أن وقع منه
الوكز وقال « إني ظلمت نفسي » لأنه ظهر له أن دفع الظلم قد يكون بغير الوكز
فلم يتعين الوكز طريقاً لدفع ظلم ذلك المعتدى .

وعلى هذا البيان لا يكون في الآية ما يؤخذ منه أن موسى ارتكب ما يخل بالعصمة

ماورد في حق يوسف عليه السلام

قال الله تبارك وتعالى حاكياً لما وقع من يوسف ومن امرأة العزيز « ولقد
همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه »

قبل بيان معنى الآية يجب معرفة مايجرى في النفس ، وما يدخل معه تحت التكليف وما لا يدخل .

الذي يجرى في النفس خمس مراتب : (١) الهاجس وهو مايلقى في النفس ولا يجول فيها (٢) الخاطر وهو ما يلقي في النفس ويجول فيها (٣) حديث النفس وهو تردد النفس بين فعل الخاطر وتركه (٤) الهم وهو توجه النفس نحو الفعل والميل إليه (٥) العزم والتصميم على الفعل .

جميع هذه المراتب لايتناولها التكليف ولا مؤاخذه فيها ، إلا المرتبة الأخيرة وهي العزم والتصميم . فلهم حينئذ لا مؤاخذه فيه ، ولا يعد من الذنوب أصلاً إن كان نحو معصية . قال صلى الله عليه وسلم « ومن هم بسئته ولم يعملها لم تكتب عليه » . وحينئذ فالآية تفيد أن يوسف توجهت نفسه نحو مخالفتها ومالت نحوها بمقتضى الطبيعة البشرية كميل الصائم في اليوم الحار إلى الماء البارد، ولكن منعه من الجرى وراء ما اقتضته الطبيعة البشرية من الانتقال من الهم إلى العزم أنه رأى برهان بربه وحجته الباهرة الدالة على نهاية قبح الفتك بالأعراض وسوء سبيله ، ولذلك يقول الله تعالى : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » . والسوء هو خيانة العزيز أمير مصر ، والفحشاء هي الزنا « إنه من عبادنا المخلصين » الذين أخلصهم الله تعالى واختارهم لطاعته .

وأظن أن بيان الآية على هذا الوجه لا تنبؤ عنه التراكيب ولا المفردات ولا تعسف فيه ، ويقطع ألسنة الطاعنين ، خصوصاً وأن هذه الحادثة كانت قبل البعثة ، والآية لم تشتمل على اعتراف بذنب ولا تجاوز عنه .

فاحتفظ بهذا البيان ولا تلتفت لما سطره بعض القصاصين في هذه الحادثة فهو من الاسرائيليات ولم ينقل من طريق يعتمد عليه

وقال الله تبارك وتعالى « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها

يوسف في نفسه ولم يبدها لهم؛ قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون «
 ظاهر هذه الآية يفيد أن إخوة يوسف نسبوا إليه السرقة ولم ينفها عن نفسه ،
 ومعلوم أنها من الكيئات المشعرة بخسة. وهذا النوع أجمع علماء التوحيد على عصمة
 الأنبياء منه عمداً أو سهواً قبل البعثة وبمدها؛ ولكن ذلك الذي نسبته إخوة
 يوسف إليه يحتمل أن يكونوا كاذبين فيه؛ وفي الواقع لم يسرق. ويشير إلى ذلك
 قوله: « أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون» وصدور الكذب جائز منهم عقلاً لأن
 التحقيق أنهم ليسوا أنبياء .

ويحتمل أن يكون قد حدث أمر سموه سرقة، وفي الواقع ليس بسرقة؛ وقد
 أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال كان أول ما دخل على
 يوسف عليه السلام من البلاء فيما بلغني أن عمته كانت تمضنه وكانت أكبر ولد
 إسحاق عليه السلام وكانت إليها منطقة أيها وكانوا يتوارثونها بالكبر فكانت
 لا تحب أحداً كحبها ليوسف، حتى إذا ترعرع رقت نفس يعقوب إليه، فقال
 يا أختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عنى ساعة، فقالت والله ما أنا
 بتاركته فدعه عندي أياماً أنظر إليه لعل ذلك يسليني، فلما خرج يعقوب عليه السلام
 من عندها عدت إلى ثلث المنطقة فحزمتها على يوسف عليه السلام من تحت ثيابه
 ثم قالت: فقدت منطقة أبي إسحاق فانظروا من أخذها. فالتست، ثم قالت اكشفوا
 أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف عليه السلام، فقالت والله إنه لسلم لي
 أصنع فيه ما شئت، فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذاك إن كان
 فعل. فأمسكته فما قدر عليه حتى مات اه .

فهذا المروي صريح في أن يوسف لم يسرق، وسماه إخوته سارقاً باعتبار
 ماشتهر بين الناس، فان صحت هذه الرواية فيها، وإلا فهم كاذبون في نسبة السرقة
 إليه. فالآية حينئذ لم تدل على أن يوسف قد ارتكب ذنب السرقة .

القرآن ومعانى الايمان الكفر والاسلام والشرك

نزل القرآن الكريم بآيات الايمان ، والكفر ، والاسلام ، والشرك .
 أما الايمان فعناه التصديق بالله ورسوله ، وكتبه واليوم الاخير . قال الله تعالى
 يخاطب المسلمين : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على
 رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل » يأمرهم بأن يثبتوا على الايمان بالله ورسوله
 محمد صلى الله عليه وسلم ، والكتاب الذى نزل عليه ، وهو القرآن ، والكتاب الذى
 أنزل من قبل . والمراد به جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب كالتوراة
 والانجيل ، ولذا قرئ : وكتابه على إرادة الجنس .

وأما الكفر فهو ضد الايمان ، ومعناه عدم التصديق بكل ما تقدم من أركان
 الايمان أو ببعضه . قال تعالى : « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر
 فقد ضل ضلال بعيداً » ومعنى ذلك أن من لم يصدق بالله وملائكته وكتبه ورسوله
 واليوم الآخر ويكفر بكل هذا الأشياء أو بواحد منها — لأن الكفر ببعضها كفر
 بكلها — يقع فى الضلال البعيد والعذاب الشديد . ألا ترى أنه تعالى قدم الأمر
 بالايان بها جميعاً فى أول الآية فقال جل شأنه « آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى
 نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل »

وقد أثنى الله سبحانه على المؤمنين الأولين الذين هاجروا مع رسول الله من
 مكة والذين آووه ونصروه من أهل المدينة وشهد لإيمانهم بأنه حق ، ووعدهم

بالمغفرة والرزق الكريم في قوله « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

وكما أثنى على المؤمنين ووعدهم بالمغفرة والرزق الكريم، فإنه نعى على الكافرين وبخاصة من كانوا مؤمنين منهم ثم كفروا، ونفى غفرانه ذنوبهم، كما نفى هدايتهم إلى الطريق التويم في قوله « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً » فهو سبحانه وتعالى يخبر عباده بأن الذين تكرروا منهم الارتداد وعهد فيهم ازدياد الكفر والاصرار عليه، يستبعد منهم أن يحدوا ما يستحقون به المغفرة، ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه لهم، لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم وتلك شغشتهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة، وكان الايمان أهون شيء عندهم وأدونه، لأنه كانت تبدو لهم فيه ككرة بعد أخرى، فيؤمنون ثم يكفرون وهكذا .

وهو سبحانه لا يريد بأخباره هذا أنهم لو أخلصوا الايمان بعد تكرار الردة وفضحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم — لأن ذلك مقبول من حيث إنه بذل للطاقة واستفراغ للوسع — ولكنه سبحانه يستبعد ذلك منهم ويعده أمراً لا يكاد يكون. ولذلك ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع، ثم يتوب ثم يرجع، لا يكاد يرجع منه الثبات، والغالب أنه يموت على شرحال، وأصبح صورة .

وأما الاسلام فعناه التوحيد، وبدونه لا تقوم لأى دين قائمة؛ قال الله تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » وقال « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وضده الشرك وهو أخو الكفر . فقد قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . وما من إله إلا إله واحد، وإن لم يتموا عما

يقولون ليمس الذين كفروا منهم عذاب اليم » وقال « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . »

على أن الشرك أسوأ حالا من الكفر ، فإن الله سبحانه وتعالى قال « إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء » وفسر العلماء من يشاء بالنائب الذى أقلع عن الذنب وصحت نيته بدم العودة إليه . وقال « يأبى الذين آمنوا إنما المشركون نجس » . جعلهم الله نفس النجاسة مبالغة في وصفهم بها . وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف فكأنه قيل المشركون جنس نجس أو ضرب نجس ، وقال حكاية عن لقمان الحكيم : « وقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » وحقاً إنه لظلم للنفس عظيم بايقاعها في العذاب الاليم والضلال الممين . وقال الشاعر :

اثنتان لا تقر بهما أبداً الشرك بالله والاضرار بالناس

وأ كبير دليل على أن لفظ الاسلام جاء في القرآن الكريم بمعنى التوحيد ، وأن التوحيد هو الأساس الحق في كل دين ، قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام وقومه : « فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » وقوله « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » وقوله : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » وقوله حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا

والآخرة توفى مسلماً وألحقني بالصلحين» وقوله: «وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين» .

فسيدنا نوح ومن أتى بعده من الرسل عليهم الصلاة والسلام قد وصفوا بالاسلام وطلبوا من الله أن يتوفاهم على الاسلام الذي هو التوحيد ، والذي قد أصبح وصفاً خاصاً بالمسلمين في كل أنحاء المعمورة . ولذلك خاطب الله رسوله وصفيه وخاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : « قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيميا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » . وقال حينما تم للمسلمين الأمر في دينهم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

عبد الرحمن علي حسين

مدرس أول بمدارس البنات الثانوية
سابقاً

الحث على تعليم القرآن والعلوم

قال المزني : سمعت الامام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه يقول : « من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نبه قدره ، ومن تعلم اللغة رق طبعه ، ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه .

من هدى القرآن

قال تعالى: « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وقال جل ثناؤه: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن خير الناس فقال : « أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، وأتقاهم لله ، وأوصلهم للرحم » .

وعنه عليه السلام : « من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه » .

وعنه عليه السلام : « والذى نفسى بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم » .

وعن علي رضي الله عنه : « أفضل الجهاد الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ومن شنأ الفاسقين ، وغضب لله ، غضب الله له » . .

هذه مقومات الحياة ، وروح الاجتماع ، ودعامة العمران . . بيد أنه منذ نشأة الدنيا لم تخل الأرض من انزوت عقولهم عن استيعاب الحكم الثمينة التي تشير إليها التعاليم الدينية ، وسيطرت الأهواء على قلوبهم ووجدانهم ، وتفاعلت الشهوات في نفوسهم تفاعلاً استحال إلى مرض نفساني متأصل ، يشبه تماماً الأمراض الجسدية التي تحتاج إلى تشخيص وعلاج ، أما التشخيص فن خصائص الدين ، وأما العلاج

فهو مهمة عقلاء المكلفين ، الذين يتولون عظام الأمور وعزائمها ، العلماء بأحكام الله ، ومراتب الاحتساب ، وكيفية إقامتها ، فان من لم يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر ، وينهى عن معروف ، ويفلظ في مقام اللين ، ويلين في مقام الغلظة ، وينكر على من لا يزيده الانكار إلا التهادى والاصرار .

هذا ، وكما لا يتم به الجسم حتى ينقى من جرائم الداء ، فكذلك لا يستقيم اعوجاج النفوس ، حتى تبرأ من الأدواء التي تزعمها دائماً إلى حضيض الرذائل . ومن رحمة الرب العلي القدير ، أنه كما هيا للعلل الجسدية أطباء يسهرون على حمايتها من التضاؤل والستيم ، فانه أوجد عز شأنه على البسيطة فريقاً من عباده ، سمعت أرواحهم ، وصفت نفوسهم ، وارتقت عقولهم ، وانبثق في قلوبهم سنا الدين ، وكان فيهم الاستعداد لتذوق مغذى العلوم والمعارف اللدنية ، فتجنبوا مزالق العثار ، واستقنروا ما لا يلائم الطباع الكريمة ، وأودع فيهم جل جلاله من الأسرار ما أعدهم به للسهر على تهذيب الأرواح التي لا يتم بدونها قوام الأبدان .

ولا مرأ في أن الناس حيال الموعظة أحد اثنين : بر ، وطاجر ، أى عاقل رشيد يراقب الله ويخشاه ، ومأفون سفيه أطلق لشهواته العنان دون تدبر وتفكير . ولما كان العالم مرتبطاً بوشائج الدين والانسانية أوجب الله تعالى على الأفراد والجماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ بتلايب من يشرف على الهاوية ؛ لأن الشرع ينظر دائماً للأثار المترتبة على الجرائم ، فيزجر عنها كي تهتدى الانسانية وتسمد ، وعلى هذا الاعتبار تأسست جميع أحكامه ، فألزم المرء بقيود ، وفرض عليه تعاليم ، منها ما ينفرد بها في خاصة نفسه ، ومنها ما يشاركه فيها المجتمع . فاذا تبدل طبعه ، واعتل عقله ، وتسلطت الرذيلة على قلبه وعواطفه ، وانهدمت رقابة ضميره على سره وعلنه ، فانه في هذه الحالة ، يبيح للجماعة مراقبته ، وتوقيع العقوبة الدينية عليه ، لاسيما إذا اعتدى على حقوق الغير ، ونال منهم بشروره ،

وأذاهم بجرأته . . قال الرسول المعظم صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .
 فإذا أظهر المجتمع الذى يبنى بمن انفع المنكر بفرائضهم ، وخليهم بالألأئه الخادع ، سخطه لصنيعهم ؛ نخرجوا عن الجهر به ، وإبدائه علانية ، وأحجم من فى طبعه الاستعداد لتقليدهم عن الاحتكاك بهم ، سداً للأئمة ، وحذراً من المؤاخذة .
 وبذلك ينحصر الداء ، ويأمن المجتمع شر انسياب العدوى . أما إذا تفاضى العقلاء عن تقويم المستهترين المااجنين ، الخارجين على قوانين الأخلاق ، وقواعد الآداب وسنن العادات والتقاليد الرفيعة ، فوالحالة هذه يكون للفجار عذرهم فى التماذى ، غير مافى ذلك من إطلاق الحرية من يتعشقون غوايتهم ؛ وفى هذا يمكن خطر مروع يهدد كيان المجتمع ، ويفكك روابط المودة ، وينتزع ثقة الأفراد ، ويزعزع رواسخ الاتحاد ، ويقوض أوامر الاخاء ، ويزلزل أسس البيئته ، ويقضى على العزة القومية ، وما لها من منعة وجلال .

فإذا فسدت القلوب ، وانتهكت الحرمات على مرأى ومسمع من الرأى العام ، دون أن تتور النيرة الدينية ، فإن المفسدة تكون أفشى وأسرع ذبأعاً ، والبلوى أفصح وأعم « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده » الحديث - إذ يكون ذلك دليلاً على انتصار عوامل الشر ، واستشراء مغرياتها بالأغلبية الساحقة . وبدهى ، فإن معنى إنكار الشخص لعمل ما ، هو استهجانها ، واستقباح مزاولته ، وكلما كثر المفكرون من ناحية ، قل المفسدون من الناحية الأخرى ، وقوى الأمل فى تأثير المواعظ ، ونجاح دعوات الفضيلة .

الأمر بالمعروف هو الكوكب الذى يضىء منهاج السعادة ، والعامل الذى يعبد طرق الرشد ، وعدة المصلحين فى القضاء على خيالات الأبالسة ، وعزوة

المؤمنين ، وثروة الواعظين ، وأداة المتقين . ويكفي الأمرين بالمعروف مجداً أن يروموا هدف الأنبياء ، وينتظموا في عقد وظيفتهم الخطيرة « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ، وأوحينا إليهم فعل الخيرات ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين » وحسبهم شرفاً وعزاً أن توجههم بديع السموات والأرض بتاج الفخار فيما أوحى « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور » . وماذا يطمح الانسان أن يرقى إليه أكرم من أن يكون « خليفة لله في أرضه ، وخليفة لرسوله ، وخليفة لكتابه » .

وعى التاريخ في سجلاته أجل أهدونة لرجال استمدوا من العقيدة الدينية لانسانيتهم نبلا ، ولنفسهم عزاً ، ولأرواحهم متعة ، فجابوا الموت وتحدوا الارهاب ، ولم ينكصوا عما أيقنوا أنه الصواب ، وصاغوا عظاتهم حسب الظروف والملابسات ؛ ليناً يشبه هفيف النسيم ، وعنفاً يتجلجل كالصواعق ، وما ذلك في الحقيقة سوى مظهر من مظاهر نهضة علمية واجتماعية ممتازة ، وحافز من عاطفة دينية ناضجة .

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقياس الدقيق لسو الأمم في مجموعها ، والبوثة التي يصهر فيها العقائد والثقافات ، فهو أيضاً معيار نفسية الأمم في أفرادها ، ومدى قابلية طباعها وأخلاقها للصقل والتهديب .

يقف الواعظ فوق أعواد المنابر ، أو وسط حلقة من أفراد الأمة ، يذكر الجماهير بأيام الله ، ويجلو لهم الكمال الانساني في الصلاة والصيام والزكاة والحج ، والاحسان وصلة الرحم ، والعمو عند المقدرة ، وبذل المعونة لذوى الحاجة ، والمساهمة في المشروعات العمرانية ، والسهر على الآداب العامة ، وتقوم اعوجاج من يجد إلى تقويمهم سبيلا ، وحفظ الأسرار ، والنظر إلى الناس جميعاً نظرة مساواة

وإشراكهم معه في حب الخير ، إلى آخر ما في وجوه الأمر بالمعروف ، ويكشف لهم عن الأضرار المادية والأخلاقية ، والصحية ، في إدمان تعاطي الكحول والمخدرات ، وفي الزنا ، والسرقه ، والتدليس ، والختل ، والظلم ، والحسد ، والنميمة ، والتفريز ، والذس ، والوقية ، والرياء ، والسمة ، وفي الميسر ، وقول الزور ، والفحش اللفظي والعملي ، وبطش القوى بالضعيف ، والقحة والتراشق بسب الدين ولعن الآباء ، وبذئء اللفظ ، وعدم مراعاة اللياقة ، والخروج على آداب الاجتماع في مختلف نواحيه وأوضاعه ؛ إلى آخر ما في وجوه النهي عن المنكر .

فالمصت للموعظة : إما جسداً آلياً ، تشتت المعصية له ، وتذهب الأهواء بقلبه شعاعاً ، ترن في أذنه ألفاظ وعبارات ، ذات جرس ونغم وحروف وتوقيع ، فيها عذوبة وجاذبية وجمال ، ولكن لا يفهم لها معنى ، ولا يستخلص منها مغنى ، ولا يجنى ثمرة ، ولا يستنبط عبرة ، كالأبله المحبول الذي يقع الحادث الجلل تحت حواسه ، ولا يفقه منه إلا ما يفقه الطفل من الخيليات المتحركة ، وهذا لا يكاد ينفلت حتى ينساق في تياره كأنه لم يسمع شيئاً ، وكأن واعظاً رحباً لم يكلف نفسه مشقة الدرس والبحث ، والمراجعة والتنقيب ، ويعنيه السهر والتأمل ، ليجلو الموعظة في ثوب قشيب وحلة باهرة ؛ ويقربها لأذهان العامة . « ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ، ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون » . « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » . « فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين » . « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ، فان الله يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، إن الله عليم بما يصنعون » . « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .

أجل إن أمثال أولئك قد سقطوا عن مستوى الحيوانات الدنيا، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا من أخط الكائنات، ولهم قلوب لا يعقلون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً. وذلك يرجع في الغالب إلى اعتلال في الطبع، أعد القوى الشريفة للانفعال، ومن وصلت حالته النفسية إلى هذه الغاية من التعماسة، فإن هدايته تكون عسيرة، وانتشاله من كبوته مجهد، يحتاج لترويض طويل، وعلاج مستمر. وقد يساعد في زجره أن يصطدم بعراض خارجي عنيف؛ في الجسم إن كانت الفتوة هي الباعث على المنكر، أو في المال إن كان هو الحافز إلى الاجرام؛ وقصارى القول فيما له ارتباط بالذيلة؛ ومن ثم يبصر النور والرشاد في عظات الواعظين: « وأحيط بشره، فأصبح يقلب كفيه على ما أفق فيها وهي خاوية على عروشها؛ ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً ». وإما منصت بأذن واعية، وقلب حاضر، أتى تلمس الموعدة حالة تنطبق عليه، فتدوى في أعماقه، وتهز شعوره، وتحرك إحساسه، وتثير في نفسه كوامن الندم والتوبة

« الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب ». « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين، « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم، وندخلكم مدخلا كريماً، « ثم إن ربك للذي عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم »

فما تقدم نستنتج أن الرذيلة تشطر الانسانية شطرين تتغلغل في أحدهما تغلغلا عميقاً مؤثماً؛ والآخر تمر به مرأ خفيفاً ظاهرياً، ثم لا تلبث أن تنزوي آثارها،

وبلغتم خدشها - الأول تصفق العظة في أذنية، وتطفو على الخيلة كالحبيب والفتايق .
والثاني تصقل قلبه ، وتثقف طبعه ، وتثقف في نواحي نفسه نوراً روحانياً ، وتسمو
بمافته الانسانية إلى آفاق عالية من الترفع والاباء . « من عمل صالحاً فلنفسه ،
ومن أساء فعليها ، ثم إلى ربكم ترجعون » . « أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدي ،
أمن يمشى سويًا على صراط مستقيم » ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع
مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ، إنما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب ، وأقاموا الصلاة ، ومن تزكى فانما يتركي لنفسه ، وإلى الله المصير ، وما يستوى
الاعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء
ولا الأموات ، إن الله يسمع من يشاء ، وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا
نذير » ، « لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » ، « أفمن اتبع رضوان
الله ، كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم ، وبئس المصير » ، « أم نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » ، « ولا تكونوا
كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون ، لا يستوى أصحاب النار
وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » ، « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول
الكافر ياليتني كنت تراباً » ...

آيات زكية طاهرة ، تروض النفوس الجاحمة ، وتلين القلوب القاسية ، وتبده
الانسان في غوايته فتثنيه ، وتبلى على الطائش فتلويه

آيات زكية حكيمة ، تقيس أعمال الناس ، وترزها بدقة ، فلينظر المرء أية كفة
تخلق بأعماله . وهو على نفسه بصير ، والمغرم والمنعم له ، ولن ينفعه أن ينجذع نفسه ويستسلم
لما يضره ، ولا يعود عليه بجدوى . وفقنا الله للعمل بكتابه الكريم ، وهدى نبيه الأمين .

سيد غريب منصور

شيخ مقرة السيدة زينب

المصحف

أصله واشتقاقه :

المصحف بثلاث الميم والضم أفصحها^(١) . فاقصر عليه فأقول : هو اسم مفعول من قولك أصحفت الصحائف القمطر إذا جمعتها ووضعناها فيه لصيانتها ، وعلى هذا فلفظ المصحف حقيقة لغوية في القمطر ، وهو ما يسان فيه الكتب ، وإنما سميت الصحائف مصحفاً مجازاً من باب تسمية الشيء باسم مجاوره ، كما قالوا في النهر إنه اسم للمجرى المعروف حقيقة ، ومعنى الماء الذي يجري فيه نهراً تسمية له باسم مجاوره مجازاً .

من سماه مصحفاً ؟

الذين سموه مصحفاً هم الصحابة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك أن عمر جاء فقال : إن القتل قد استحر^(٢) يوم اليمامة^(٣) بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال أبو بكر : كيف أفل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعه عمر حتى شرح الله صدره لذلك ، فأمر زيد بن ثابت بجمع القرآن ، وزيد هذا هو كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه

١ . القياس يقتضي تعين الضم لأنه من أفصح بمعنى جمع لأنه جمع فيه سائر الصحف

٢ . استحر أي كثر واشتد ، وينسب المسكروه إلى الحر والمحجوب إلى البرد .

٣ . اليمامة مدينة باليمن وهي في عداد أرض نجد .

وسلم . قال زيد : فتبعت القرآن أجمه من الرقاع (١) والعسب (٢) واللخاف (٣) وصدور الرجال ، فلما أتم جمعه وضع الصحائف بين يدي أبي بكر ، ثم اثنوا وتشاوروا ما يسونونه ، فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف . وبقى عند أبي بكر مدة خلافته ، ثم عند عمر كذلك ، وبعده كان عند السيدة حفصة بنته زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلافة عثمان .

أول تعدد المصاحف :

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه جاءه حذيفة بن اليمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية (٤) وأذربيجان (٥) مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القرآن ، فقد كان بعض الناس يقول لبعض : قراءتي خير من قراءتك ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان لحفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف « هي التي كتبت في عهد أبي بكر » فنسخها في المصاحف ثم ردها إليك ، فأرسلتها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف . ولما تم نسخها رد عثمان المصحف إلى

(١) الرقاع : جمع رقعة وهي ما يكتب فيها وقد تكون من جلد أو ورق .

(٢) العسب بضم العين والسين جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض .

(٣) اللخاف بكسر اللام جمع لخرة بفتح اللام وهي الحجارة الرقيقة .

(٤) أرمينية : بكسر الهمزة وتخفيف الياء سميت بإرمين من ذرية نوح عليه السلام وهو أول من نزل بها سميت باسمه .

(٥) أذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وهو موضع من بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة .

حفصة ، وأمر بإحراق ما سوى ذلك ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوه من الصحف التي كانت عند حفصة . قال أبو عمرو الداني : أكثر العلماء على أن عثمان كتب أربعة مصاحف ، فبعث إلى البصرة بواحد ، وإلى الكوفة بثان ، وإلى الشام بثالث ، وأبقى الرابع عنده بالمدينة . وقال أبو حاتم السجستاني : كتب عثمان سبعة مصاحف : الأربعة المتقدمة ، والخامس إلى مكة ، والسادس إلى اليمن ، والسابع إلى البحرين .

إجلال المصحف وتكريمه

وفيه مسائل :

المسألة الأولى — أجمع المسلمون على وجوب احترام المصحف وصيانته مما يشعر بغير ذلك . فمن ذلك ما قاله النووي من أنه يستحب القيام للمصحف إذا قدم أحد به عليه ، لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار للمصحف أولى . وقد قررت دلائل استحباب القيام للمصحف في الجزء الذي جمعته فيه . وروينا في مسند الدارمي بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل رضى الله عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول : كتاب ربي كتاب ربي ! .

المسألة الثانية — قال الجلال السيوطي : يستحب تقبيل المصحف لأن عكرمة بن أبي جهل كان يفعله ، ولأنه هدية من الله ، وشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير . وفي رواية عن أحمد استحبابه .

المسألة الثالثة — قال العلماء من شروط تصغير الاسم أن يكون قابلاً للتصغير فلا تصغر الأسماء العظيمة كاسماء الله وأنبيائه وملائكته لما يشعر به التصغير من التحقير غالباً . وعلى هذا فلا يصح لاحد أن يقول مصيحف إلا إذا وجدت قرينة ظاهرة تنفي ما يشعر به التصغير من التحقير كأن يكون المصحف صغير الحجم ، ومع

ذلك فتركه أولى . قال الجلال السيوطي روى ابن أبي داود عن ابن المسيب قال : لا يقل أحدكم مصيحف ولا مسيجد ، ما كان لله تعالى فهو عظيم .

المسألة الرابعة - قال الفقهاء لا يجوز كتابة المصحف بحروف صغيرة جداً لا تمكن قراءتها ولا تدل على أنها مصحف فإن كتابته على هذا النحو قد يؤدي إلى إهتانها وعدم احترامه ووضعها في موضع لا يليق به ممن لا يعرف أنه مصحف، وذلك كالمصاحف التي يحملها بعض الناس في العلب الصغيرة . واتفق العلماء على تحسين كتابة المصاحف وتبويبها وإيضاحها .

المسألة الخامسة - قال الفقهاء لا يصح وضع المصحف في مستوى أشياء بجانبه بل لا بد أن يوضع على شيء حتى يكون مرتفعاً تعظيماً له واحتراماً، وقالوا يحرم توسد المصحف أي جملة وسادة بأن يضع الانسان رأسه فوقه، وكذلك يحرم وضعه تحت الوسادة ، ولو كان القصد التبرك والتحصن .

المسألة السادسة - قال العلماء قراءة القرآن في المصحف أفضل لأن النظر إليه عبادة ، فالقارئ فيه جمع بين عبادتين هما النظر والقراءة . وترك القراءة فيه هجر له وجفوة . روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الغراء في الدنيا أربعة، وعد منها مصحفاً في بيت لا يقرأ فيه » . ونقل الغزالي في الاحياء أن كثيرين من الصحابة رضی الله عنهم كانوا يقرؤون في المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف . قال النووي: ولعلمهم أرادوا بذلك في حق من يستوى خشوعه وحضور قلبه في الحالتين فأما من يزيد خشوعه وحضور قلبه وتدبره في القراءة عن ظهر القلب فهي أفضل في حقه . والله أعلم . وفقنا الله لاحترام القرآن وأهله والعمل به . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته آمين .

محمد عبد الله البليبي

من العلماء - شيخ مقرة الامام الليث

كيف نتقرب إلى الله

في أثر قدسى كريم : « من تقرب إلى شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، ومن هرب إلى ذراعاً ، تقربت إليه باعاً . . . »

فأروع هذه الرحمة التي تفيض في هذا الأثر الجليل ، وما أجل وقته في نفس المؤمن .

أجل إنه « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها » .

سبحانك ربى بحمكتك التامة ، أحضت الانسان برحمتك الواسعة ، في جلته جرماً ، وفي تفصيله عضواً عضواً ، حتى لم تبق فيه بضعة ليس لها قانون . . . سبحانك وإليك المصير .

تقرب أيها العبد إلى مولاك ، لتحظى من لده بالمجد والكرامة ، وانض عنك أظمار العوائق المادية ، لتتخطى الحواجز والعقبات ؛ إذ لا ينبغي أن هناك عوامل تقرب العباد إلى الله تعالى ، كل حسب اجتهاده ، حتى ليبلغ من القرب درجة لا يمتاز عنها غير درجة النبوة ، كما أن ثمة عوامل أخرى ترسب بالعبد رسوباً سحيقاً ، حتى لتكون خطراته وأوهامه دائرة في حيز الشيطان القوى .

فاذا أخذ الانسان نفسه بالتوانين الحكيمة التي تتمثل في كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ، لا ينحرف عن حدودها ، ولا ينبو عن مجالها من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وهي أداة التعمد والخلق والاجتماع ، وحرص على دينه ، ومما عقله إلى فهم تعاليمه ، وأهدائها المادية والمعنوية ، فانه لا يعزم أدنى عزم يخالف هذه التعاليم ،

أو فروعها؛ فلا يسرق ، ولا يزني ، ولا يسكر، ولا يقامر، ولا يكذب، ولا يفتاب، ولا يشهد الزور، ولا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، أي يكون نموذجاً على الكمال النفساني ، ويمثل في الأرض طهر السماء وجلالها ، وإن من هذه صفته ، فإن قيمته ترتفع على كل قيمة ، ومنزلته تعلو على كل منزلة، ويكون للانسانية مثالا رائماً من مثل الفضيلة ، يكون للدين في فرائضه، وللمجتمع في أخلاقه ، ولنفسه في حضرة رب الأرباب ، ومن ذا يكون أرضى عيشة ، ممن هو من رضوان الله في عز وكرامة، ومن رعايته في أمن ووقاية ، ومن دينه في حرز من الغواية ، ومن خلقه في سياج من الدنيا ، ومن ضميره في حذر من الضراوة ، فلا يصيبه في دنياه مكروه ، ولا يورقه هم أو ضيق ولا يزعجه غم أو أسى. أما في الآخرة ففي جنة عالية ، قطوفها ذاتية ، ظلها ظليل ، ماؤها سلسبيل ، ويكون من الذين يذكهم الله ، ويعلمهم الكتاب والحكمة .

ومن المقرر أن الانسان ابلى في هذه الحياة بقوتين تتنازعه : قوة مادية تحمله على الضلال ، وقوة روحانية تضيء له معالم الهدى، فإذا انجبت إرادة المرء وعزم على الشر ، تناوشته أخطار وبيئة ، تفضي على مثله العليا ، التي لا تقوم للحياة قائمة بدونها ، فتتخلخل عقيدته وتسود آدابه ، وتقلب عليه بهيمية حيوانية لا تليق بكائن يحترم نفسه ، ويشعر لها بمكانة واعتبار ، والاله الكريم لا يرضى لعبده أن ينحط عن المستوى الروحاني الرفيع ، لاسباباً وأنه يحكم ما أودع فيه سبحانه من قوى عاقلة وعزيمة يستطيع أن يقارن بين المنفعة والمفسدة ، ويميز بين الخير والشر ويجزم ما يرغب إليه ، ولذا قبل دعاه جل جلاله إلى حضرته وفسيح رحابه « ففروا إلى الله ، إني لكم منه نذير مبين » .

والفرار إلى الله عز شأنه معناه البعد عما يوصم الانسان بوصمة عار، لأنه تعالى أمر عباده أن يكونوا مثاليين في العقيدة وفي الخلق ، ليكون فيهم الاستعداد للفرار

إليه والتقرب منه ، ولاريب في أن من يروض نفسه ويهذبها ، ويظهرها من أدران البهيمية ، ويجنبها مزالق الشرور والآثام ، حتى يصير مستعداً للفرار إلى الله تعالى ، فان قوة الأرض لاتصد لفضبه ، وإن باباً في السماء لا يوصد عن دعوته . هذا من أمر القوة الروحانية ، أما القوة المادية أو بعبارة أوسع القوة الشرية . فان افعالها يعوق المرء دائماً عن ركب البررة الأطهار ، ويجعله معرضاً للرسوب إلى الخضيض . وقد أجل القرآن المكنون النوازع المفضية إلى افعالها في أمرين أسليين : « المال والبنون » . فكل ما تشعب في مخيلة الشخص ، وتوالد من أهواء وآمال ، فانما يتفرع عنها وينث من نقرها ، تلمس ذلك واضحاً في آية كريمة أخرى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المنقطرة من الذهب والفضة ، والحليل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا » قد انحصر متاع هذه الحياة العابرة فيما قصه الله علينا .

وهذا كما دلت التجارب ، متاع متقلب لا دوام له ، مهما انصرفت إليه الاوهام وفي طفياته اضحلال للقوى المعنوية ، وحتف للنفوس .

فاذا طفت شهوة النساء على القلوب ، وتمرست بالفرائز ، فانها تعرض الانسان لآخطار عنيفة قاتلة ، منها ما يرتبط بالأخلاق ، ومنها ما يتعلق بالصحة ، فمن الناحية الخلقية ، أنها دافع ملح ، في إثارة العاطفة البهيمية فينطلق المرء كالحيوان ، لا يتدبر ولا يرعوى ، مضحياً في سبيل قضاء وطره بكرامته وخلقه ، بل ودينه أيضاً ، ومتى آلت زبهايته إلى هذا المصير السيئ ، رجع القهقري ، وأوشك على التهدم ، ومن الناحية الصحية ، قد يشاهد الزناة ، يبوءون بأمراض خبيثة مؤلمة ، لاقتأ جرائمها رغم المعالجة والبرء ، تتوالد في القنوات الدموية ، المتعوطة بأعضاء التناسل وتتأثر بها ذرارهم ، في حالة تكوينهم أجنة ، متأثراً يبدو على صحتهم من المهد إلى اللحد وقد لا يطول بهم الأجل ، وبذلك ينجى الزناة على أخلاقهم ، وصحتهم ، وعلى ذرية

بريئة ، لم تجترح إنما تجازى عليه بأقصى عقاب : «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً» .

وطغيان شهوة البنين ، يهون على الانسان اقرار المحظورات ، ويربى عاطفة الأنانية ، فلا يتحرج عن الظلم ، ولا يتورع عن اغتصاب الحقوق ، فان كان من الدهاء ، انطلق كالوحش الضارى ، يزعج الأمنين ، ويفجع الهادئين ؛ وإن كان ذا حيثية وجاه ، لا يستقدر مد يده لرشوة دنيئة ؛ ولا يتعفف عن حقير ؛ ويتزوى فى هذه الدائرة ؛ لا يحفل إن سعد هو وبنوه بما يثن منه المجتمع ؛ من آلام وأحزان ويلتهمه من أوصاب ومتربة . ولطغيان شهوة المال سورة ؛ يستر نوسها العقل ويحجب عن البصيرة ضوء اليقين ؛ ويهينه الأعصاب عن مواقف الاعتدال والقصد . والمال سلاح ذوحدين ؛ فإذا بذل فى غير مصارفه ؛ وأصاب غير أهدافه الطبيعية ساق إلى هاوية الفناء ؛ يحظر ذويه ؛ فى مظاهر الكبرياء والغطرسة ؛ ويرتاد به مباءة الفسق والضلال : من سكر وزنا ، ويضحى من أجله بانسانيته وكرامته ؛ يسرق ؛ ويرتشى ؛ ويقامر ؛ ويتستر على الذكر ؛ إلى آخر الأمثلة التى ألمنا آتفاً منها بطرف .

وهل ثمة أشد أتراً فى ضراوة الانسان ؛ وانفعال القوى الشرية فى نفسه من المال ؟ وهل ثمة أجل موعظة ؛ وأبلغ عبرة ؛ مما ضربه الله تعالى لعباده من أمثال يستشف العاقل منها حكمة ورشداً ؟ «قال له صاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ؛ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال ما أظن أن تبديد هذه أبداً ، وما أظن الساعة قائمة ..» فهذه الآيات الكريمة بين مبتعد عن خالفه ومتقرب إليه تصور طغيان الثراء بالنفوس تصويراً نفسانياً محكماً وقرر أن متاع الدنيا إلى نفاذ مهما أضفت عليه المظاهر الخادعة صفة الخلود ؛ «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا

كأنه أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرًا»

هذا وإن التقرب إلى الله تعالى ليس عصياً على من يبتغيه ويحفره إليه إحساس نفساني صادق . فإن من يفتد هواجس نفسه وشواغلها المادية التي تسيطر على أفكاره وتبدد لبه أيدى سباء ، ويود أن ينحيا عنه ويتخفف من عبئها المرهق ، ففي وسعه أن يتوصل إلى ذلك إن لم يكن طفرة فتدريجياً إلى أن يحين الوقت الذي يتخلص فيه منها نهائياً ويسلك سبيل المقربين .

والطريقة العملية أن يخصص باديء ذي بدء يوماً في الاسبوع أو يومين إن استطاع يتفرغ فيها بكلياته وجزئياته ، بقلبه ومشاعره ، بعواطفه ووجدانه ، بخالقه تعالى وحسب ، يذكره لا يريم ، فإذا مر بخاطره طائف من الشيطان استغفر وأدبر كيلا يصرفه عما هو بسبيله من التأمل في مشاهد القدس والتمتع بفيوضات الرحمت وسبحات الجلال ، وبعد أن يجول هذه الجولة الصمدانية فليُنظر. أي سعادة تملك عليه أقطار نفسه فتنسيه كل الملاذ الكاذبة والأهواء البراقة ؛ سعادة لا تقاس بها الدنيا بما أتخت به من زخارف وخدم .

ولا ينبغي أن لكل داء جسماني وروحي ؛ علاجاً ؛ وليس كذلك الله تعالى والتقرب إليه وقاية وعلاجاً ؛ لعموم الأمراض والعلل ؛ فهو نجاة الأبدان ؛ وشفاء النفوس ؛ وسعادة القلوب ؛ وراحة البال ؛ وسلوة الأرواح ؛ وهو الجنة النجاء ؛ في صحارى الدنيا ترتادها الأرواح الهائمة الشاردة ، فتطمئن وتهنأ ؛ وتتلاذ وتنعم ، وهو القطوف الدانية ؛ التي في مذاقها الشهي ؛ رفاهية ؛ وفيها سمو ومجد ؛ وهو المركب الذلول ، الذي يسعى برا كبه إلى الفردوس ، في دار الخلود ؛ أي هو براق السعادة ؛ ولواء السلام . . يحاط الانسان بالذيلة وتأخذ عليه منافذ

الهدى والتبصر ؛ فاذا ذكر الله ؛ كان كمن أضاء مصباحاً في حجرة معتمة ؛ فلا تلبث أن تتبدد منها دياجير الليلة الليلية ضريرة النجم .

إذا ذكر العبد إلهه القدير وتمثل بطشه وعقابه ؛ وأن سخطه تعالى على عبد ؛ معناه ضياع كرامته وجمده وعزه ؛ وإقرار شقائه ؛ وتقويض مقامه ؛ وهلاكه في الأولى والعقبى ، تنجب جهده المزالق التي تقسره عليها ؛ وحافظ على الفوز برضائه الذي معناه الكرامة والمجد والعز ؛ والنعم في الأولى والعقبى ؛ وهذا هو القرب من الله تعالى في أصدق معانيه ؛ فمن كان فيه الاستعداد ، ووجه همه إلى هذا الشرف الأسمى ففي هذه الحالة ينشغل قلبه بالله ؛ ويستوعب الحكم والمعارف ؛ ويتسع لكائنات السموات والأرض ؛ فيرى الله في الشمس البازغة ؛ والأقمار الدائرة ، والنجوم المتألقة ؛ وفي العيون الجارية ؛ وفي الحدائق المكحلة ؛ وفي الأشجار السامقة ؛ وفي الزهور المتباينة ؛ وفي تفريد البلايل ؛ وترجيع القهارى ؛ وزقزقة العصافير ؛ وفي البعوضة المجنحة ؛ وفي الذرة السابحة ؛ وفي صماخ يسمع ؛ وشحمة تبصر ؛ ومضغة تسيطر ؛ وفي ظفر وناب ، وفي معادن الأرض والسموات ، وفي الوهاد والقطن ، وفي المغاور والكهوف ، وفي الامصار والقرى ، وفي الوديان والحزون ، وفي كل عامر وغامر ، فكل شيء يدل على الله ، ويجذب إليه الافئدة ، ويستهوى الالباب .

فمن بلغت به همته هذا المبلغ ، ورقت نفسه هذا الرقتى ، كان هو الانسان السعيد . نوقنا الله ، وهدانا . إنه سميع مجيب .

عبد الحميد مجازى

كاتب مقراءة السيدة زينب

أطباء الاتحاد العام لجماعة القراء

١ - حضرة الدكتور محمد نور الدين مصطفى الباجورى

٧٤ شارع فؤاد الأول - فوق مكتب بريد بولاق

مواعيد العيادة : من ٦ - ٨ مساء

٢ - حضرة الدكتور عمر زكى

شارع سعودى - باب الشعرية

٣ - حضرة الدكتور على عبده

شارع السد - عند أبو الريش

تطوع حضرات الأطباء الفضلاء بالكشف على المرضى من القراء أعضاء الاتحاد بالمجان ، بمقتضى جوابات تحويل من مكتب الاتحاد ، والاتحاد العام يشكر لحضرات الأطباء عطفهم على أهل القرآن ، وينبه القراء إلى ذلك .

اشتراقات كنوز الفرقان

تعتذر إدارة المجلة إلى حضرات مشتركينا وقرائنا الفضلاء من تأخيرها فى هذا العام عن الظهور فى مواعيدها المحددة لأسباب خارجة عن إرادتها، وقد عملت على ملاحقتها، وتعدم باصدارها فى مواعيدها، ومن أجل ذلك ستصدر العديدين الحادى عشر والثانى عشر فى أقرب فرصة إن شاء الله . وبهذه المناسبة ، وبمناسبة حلول العام الهجرى ووجوب تنظيم حساباتها ، ترجو من حضرات المشتركين أن يوافقوا باشتراكهم الجديدة مشكورين

السنة الأولى

العددان : التاسع والعاشر

١	الأستاذ وكيل الأزهر عبد الرحمن حسن	الحديث الديني
٩	الأستاذ الكبير شيخ المقاري المصرية	الأحرف السبعة
٢٠	الأستاذ الكبير عبد الوهاب خلاف	أسماء القرآن
٢٧	الأستاذ الكبير عبد الله المراغى	من فضائل القرآن (رعاية الأمانة)
٣٠	فضيلة الأستاذ الشيخ فريد العبادي	جمع القرآن
٣٦	الأستاذ الشيخ المرحوم محمود أبو دقيقة	عصمة الأنبياء
٤٣	الأستاذ الشيخ عبد الرحمن على حسين	القرآن ومعاني الإيمان
٤٧	سيد غريب منصور	من هدي القرآن
٥٤	الأستاذ الشيخ محمد عبد الله البليسي	المصحف
٥٨	الأستاذ عبد الحميد حجازي	كيف نتقرب إلى الله

